الفلزات الترابية والقلوية كالصوديوم والبوتاسيوم والكالسيوم .

لقد نقل هذا المصطلح الى اوروبا (مع ال التعريف) وبقي على حاله حتى الآن Alkali وقد اشتق منه المصطلح Alkaloids ويقصد بذلك القواعد النباتية Plant Bases ولم نتفق على تعريب هذا المصطلح حتى الآن . فيقال القلويدات النباتية او القلوينات او شبه قلي . وافضل ان يصطلح على اسم ـ القواعد النباتية ـ وليس بخاف على الكيمياوي اهمية هذه المواد في الكيمياء العضوية ، وكثرة استعمالها في الطب والصيدلة .

نُحـــاسٌ :

وهو اول المعادن التي عرفها الانسان وفي اللغة هو الصُّفْر الجيّد ، والصّفر الذي تعمل منه الاواني والصفار صانع الصفر . ويقال للدّخان الذي فيه لهبٌ نحاسٌ . وجاء في القرآن الكريم « يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ من نارٍ ونحاسٌ فلا تَنْتَصِران » وقد أجمع المفسرون على ان النحاس هو الدخان الذي يعلو وتضعف حرارته ويخلص من اللهب . ويقال النُّحاس ـ بالضم هو الصفر نفسه . والنِّحاس ـ مكسور الدخانه ، كما يقال الدُّخان هو النُّحاس .

وربما كانت كلمة الصفر مشتقة من الكلمة الاكدية Sipparru سيبارو او سيفارو . وقد اطلق اليوناثيون المصطلح Kyppros كبروس على الصفر كما سميت جزيرة قبرص او قبرس Cyprus باسمه لانه كان يستخرج منها . وسمي في اللغة اللاتينية معدن قبرص (aes cyprium) ثم حورت الكلمة فأصبحت cuprum وأخيرا استقر الاسم على copper بالانكليزية و kupfer بالالمانية و cuivre بالفرنسية . من هذا الشرح يتضح ان المصطلح اللاتيني cuprum ما هو الا مصطلح عربي جاء من حضارات وادي الرافدين والحضارة العربية المتأخرة .

قَـهْـوَةٌ :

هي اسم من أسماء الخمرة وسميت بذلك لانها تقي شاربها عن الطعام اي تذهب بشهوته (تشبعه) وكما عرف الناس البُنّ ، شاع ، اسمه بالقهوة تدار بالكؤوس ويشربونها كالخمرة ، وقد استعملت في الطب ، فهي منبهة للقلب والكلي وتساعد على السهر وازالة التعب ، وشربها بعد الطعام هاضم ومنشط (ولا يجوز الافراط في شربها) ، كما تعطى القهوة في حالات التسمم بالمخدرات .

لقد انتقلت القهوة الى اوروبا متأخرة (في اوائل القرن السابع عشر) ، وسميت في اللاتينية : coffea arabica ، اي القهوة العربية . لقد درس القهوة عدد كبير من الكيمياويين واستخلصوا منها مواد كثيرة اهمها الكافئين caffeine او التئين Theine لانه يستخلص من الشاي ايضا . وهو مركب عضوي من صنف القواعد النباتية من مجموعة البورينات Purine compounds وقانونه الكيمياوي :

اذا حُمِّصَ وطُبخ ، وكانت القهوة .

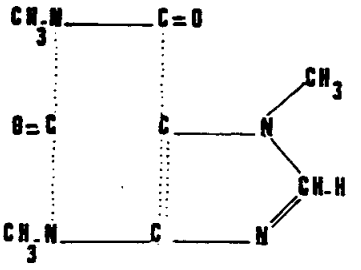

الكافئين caffeine

مِسْـــكٌ :

جاء فى لسان العرب ، المسك ضرب من الطيب مذكر ، وقد أنّثه بعضهم على انه جمع واحدته مسكة. قال الشاعر :

لقـد عاجَلَتنـي بالسِّبَاب وثوبُهـا
جديدٌ ، ومن أردانها المِسْكُ تَنْفَـحُ

ويقال دواءٌ مُمَسَّك اي فيه مسك . وجاء فـى الحديث الشريف : خُذي فِرْصَة فَتَمَسكي بهـا . وفى رواية اخرى : خذي فرصة مُمَسَّكَة فَتَطَيّبي بهـا . (الفِرْصَة القطعة ، يريد بها قطعة المسك) .

والمسك اسم غير عربي ، فيما يزعم ، معرب، وهو من اجل انواع العطور واغلاها ثمنا ، ويحصل عليه من غزال المسك . وكانت العرب تسميه : ـ المَشْمُوم ـ .

لقد بقي هذا المصطلح فى الكيمياء على النحت العربى حتى الآن . ويسمى بالانكليزية والفرنسية والالمانية Musk و Muschus. وقد استخرج منه مركب كيمياوي معقد التركيب نوعا ما ، وهو الذي يعطي الرائحة ، وسمي موسكون Muscone .

وهذا المركب من صنف التربينات الحلقية التركيب Cyclic Terpenes وقانونه :

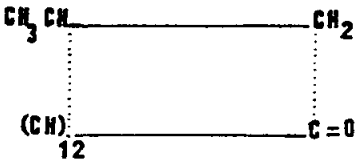

المسكـون :

Muscon

لما كان المسك غالي الثمن ، فقد عمد الكيمياوي على إنتاج مركبات كيمياوية لها رائحة المسك ، وفعلا تمكن من ذلك ، وانتج مواد كثيرة رخيصة الثمن ، عرفت باسم ـ المسك الصناعي ـ وهذه المركبات تختلف فى تركيبها الكيمياوي عن المسك الطبيعي .

ومثال ذلك ، مسك الزايلين Xylene Musk

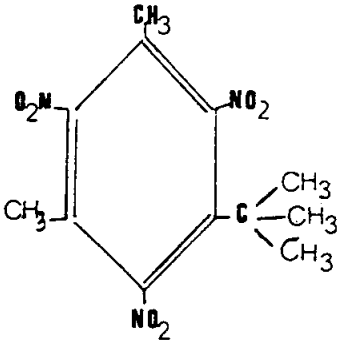

كافـــور :

الكافور نبات له نَوْرٌ ابيض كنور الأُقْحُـــوَان ، وقالت العرب : الكافور أخلاط تجمع من الطيب ، تركّب من كافور الطَّلع (كافور الطلعة وعاؤها الذي ينشق عنها) . وسمي كافوراً لانه قد كَفرها اي غطاها. وجاء فى القرآن الكريم : إن الابرارَ يشربونَ من كأسٍ كان مِزاجُها كافورا .

وقال الشاعـــر :

كالكرم اذ نادى من الكافـــور

وقال ابن دريد : لا احسب الكافور عربيا لانهم ربما قالوا القَنُور والقانور (لسان العرب) .

يسمى الكافور فى اللغة السنسكريتية كاربورا Karpura ، ثم سماه سكان الملايو والهند كابور Kapur واخذه العرب من الهنود والفرس ، فسموه : كافور Kafur ثم سمي فى اللاتينية كامفورا Kamphora .

وأول استعمال لهذا الاسم فى اللغة الانكليزية كان سنة 1230 م ، حيث اطلق عليه اسم Camphire ، ثم حورت الكلمة طبقا للاسم اللاتينى فسمي Camphor ، وهو الاسم الشائع الآن فى جميع اللغات الاوربية ، علما بأن الاسبان يسمونه طبقا للمصطلح العربى : Al-Comphor .

ويعرف الكيمياوي أن الكافور مركب من صنف التربينات الحلقية المركبة Poly Cyclic Terpenes ويستعمل فى الصناعات الكيمياوية ، وفى التعقيم ، اذ هو احسن المواد ضد الطفيليات النقيمية ، وكذلك فى تحضير بعض الأدوية الطبية ، وقانونه :

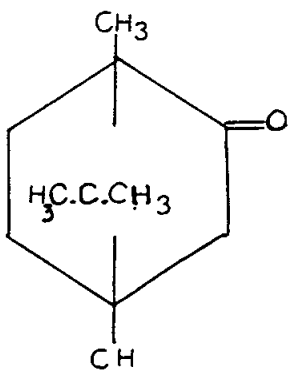

camphor كافور

زَعْفَـــرَان :

عرفت هذه النبتة عند البابليين ، واستعملت فى الطب ، وفى تحضير البهارات ، كما استعملت فى الصباغة ، ولا يزال الزعفران يعتبر شيخ الافاويه .

واسم الزعفران فى اللغة الاكدية a-zn-pi-rec ، وورد اسمه ايضا فى اللغة السومريه Sam azupiru .

وجاء المصطلح العربى من هذا الاسم السومري « ازوفيرو » ويعتقد البعض أن اسمه ماخوذ من الفارسية ، وهذا غير وارد ، لان الاسم معروف والمصطلح واضح فى اللغات القديمة ، واضح ايضا ان المصطلح العربى نحت من لغة سكان وادي الرافدين .

واسم نبتة الزعفران فى اللغة اللاتينية Crocus Sativus ، والاسم الشائع فى اللغات الاوروبية Safron ، ماخوذ من المصطلح العربي . وقد استخرج الكيمياوي من الزعفران مواد كثيرة ، ومنها المركب المعروف باسم Safrole = سافرول وقانونه :

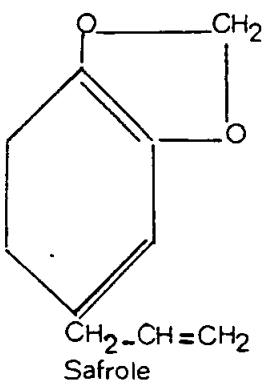

Safrole

كُـرْكُـم :

معروف ، وهو من التوابل الطبية ، وله أسماء كثيرة فى اللغة العربية ، منها عُروق صُفر ، وزعفران الهند ، وهُرْد ، ووَرَس . والاسم كركم منحدر من الاسم البابلي Kurkanū ، فقد عرفه سكان وادي

الرائدين معرفة جيدة واستعملوه فى صناعة التوابل ، وفى صباغة القطن والحرير باللون الاصفر . وقد بقي يستعمل كصبغة للحرير حتى نهاية القرن الثامن عشر .

يسمى الكركم فى اللغات الاوروبية Curcuma او Curcumas ، مأخوذ من الاسم اللاتينى لنبتة الكركم Curcuma Tictoria . ان المصطلح العربى واضح كل الوضوح فى هذه التسمية .وقد استخلص من الكركم مادة كيمياوية تسمى كركومين Curcumin ، تستعمل فى الكيمياء التحليلية (من الدلائل Indicator). والقانون الكيمياوي للكركومين هو :

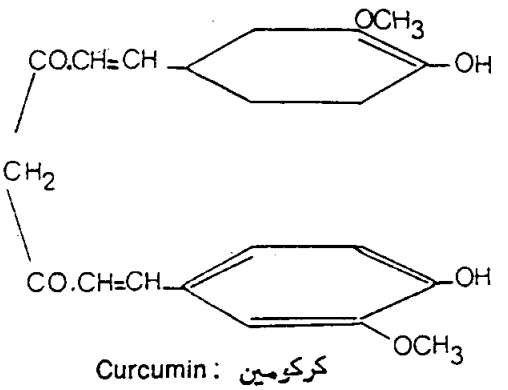

Curcumin : كركومين

كَمُّون :

نبات معروف ، المستعمل منه ثماره ، له حبّ ادق من السمسم ، واحدته كمونة ، ويقال له السَنّوت ايضا . قال الشاعر :

فأَصْبَحْتُ كالكمُّونِ فاتَتْ عرُوقُه
وأَغصانُه ممّا يُعنَّونَه خُضْرُ

ان المصطلح كمون على اغلب الظن مشتق من اللغة الهيروغليفية (المصرية القديمة) فقد ورد اسمه « كمنيني » وهو انواع كثيرة ، منها كمون اسود ، ويسمى حَبّة البركة او شونيز (فارسية) او حبّة سوداء . وكمون أرمني وهو الكروايا .

يسمى الكمون فى اللاتينية Cuminum Cyminum مأخوذ من الاسم العربى . واسمه بالانكليزية والالمانية والفرنسية Cumin . وهو عشب طبى كثير الفوائد والاستعمالات .

وتستخلص منه زيوت طيارة ، ومواد كيمياوية عضوية اخرى مثل الكومين Cumine او الكومول Cumole يستعمل فى تحضير بعض الادوية ليطيب رائحتها وكذلك فى صناعة العطور . وقانونه الكيمياوي :

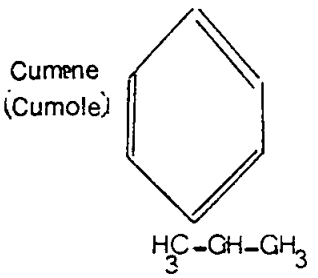

قونيون :

اسم عشبة طبية ، سامّة جدا ، ويكمن السمّ فى جميع أجزائها ، وخلاصة هذه النبتة هو السم المشهور الذي شَرِبَهُ « سقراط الحكيم » عندما حكم عليه بالموت . فقد خيرته محكمة أثينة بالطريقة التى يريد أن يعدم بها ، فطلب القونيون ولذلك سمي « سمّ سقراط » وكان الاثينيون يستعملونه فى إهلاك عظماء القوم للتخلص منهم .

القونيون اسم معرب عن الاغريقية Conium ، واسمه فى اللاتينية مأخود من اسم النبتة Conium maculatum ، ولهذه النبتة اسماء كثيرة فى اللغة العربية ، منها شَوْكَران ، وشوكران البساتين ، وقونيون البساتين وبقدونس كاذب ، وبقدونس المجانين، والحَنُّوطة

(بمجمية الاندلس) . ويسمى بالرومانية Cicuta، واسمه العلمي في اللغات الاوروبية الحديثة « Coniun » ويسمى بالانكليزية Hemlock، وفي الالمانية Fleckschierling وفي الفرنسية Ciguë tachete'e أو Grande ciguë، ولا يفوتنا ان نذكر ان اسم النبتة شوكران جاء في النصوص البابلية القديمة (Kan Sa la i) .

استخلص الكيمياوي من القونيون مواد كثيرة من صنف القواعد النباتية Alkoloids واهم هذه المواد هو المركب المعروف باسم « كونيئين » Coniine وهو بسيط التركيب ، سام جداً ، يستعمل في الطب لمداواة بعض الامراض ، وقانونه الكيمياوي :

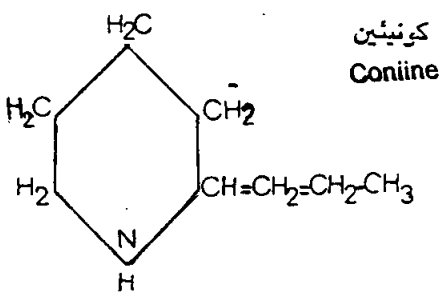

سِتُّ الحُسْن أو (حسن يوسف) :

جاء في تاج العروس : هو نبات يلتوي على الاشجار ، وله زهر حسن ، ويظهر ان المصطلح دخل اللغة العربية متأخرا ، اذ لم تذكر هذه النبتة في كتب المفردات الطبية القديمة .

كان العرب يستعملون نباتات كثيرة في التجميل ومن أشهرها نبات العُصْفُر الذي يُحَمِّر الخدود عند النساء ، ويعتقد البعض ان العصفر هو ست الحسن ، وهذا غير وارد ، لان العصفر هو القُرْطُم Carthamus tinctori ويسمى أيضا زعفران كاذب ، أو زعفران امريكا ، ويستخرج منه الصبغ الاصفر المعروف باسم Carthamine .

ونبتة ست الحسن معروفة في جنوب أوروبا معرفة جيدة ، وهي سامة جدا ، وتروى عنها قصص رومانية كثيرة لا مجال لذكرها الآن . واسم النبتة في اللغة اللاتينية Atropa Belladona وتسمى في الانكليزية Deadly Neightshode عنب الثعلب المميت)، وفي الالمانية Tollkirsche — حشيشة الحُمْرة . وفي الفرنسية والايطالية كالاسم اللاتيني .

ان الكلمة Atropa ماخوذة من الاغريقية Atropos ، اي لا يلتوي ولا يلين . وهواله القضاء والقدر عند اليونانيين ، المسؤول عن مجرى الحياة . وفي هذا اشارة الى شدة السم في النبتة . و Bella dona (ايطالية) ، متكونة من كلمتين Bella جميلة و Dona سيدة ، اي السيدة الجميلة .

ويذكر ان نساء اوروبا ، وخاصة الايطاليات منهن ، كُنَّ يضعن قطرة من عصير هذه النبتة في عيونهن قبيل دخولهن قاعات الاحتفالات العامة منها والخاصة . فمن خواص هذا العصير (العقار) انه يولد لمعانا وبريقا في العين ، كما يوسّع حدقتها فتكتسب جمالا ورونقا ، ولم يكن يعبأن بتأثيره الجانبي ، اذ انه يسبب غشاوة حادة تحجب الرؤيا لفترة من الزمن ، حتى يزول تاثير العقار عن العين .

ولما نقلت النبتة الى الشرق او اسمها فقط (فربما كانت معروفة ولكن بغير هذا الاسم) وضع العرب لها مصطلحا جميلا هو « ست الحسن أو حسن يوسف » (النبي يوسف ع) .

تحتوي ست الحسن على مركب كيمياوي يعرف باسم أتروبين Atropine ، يستعمل فى الطب لاغراض كثيرة ، منها فحص العيون ، والسيطرة على افرازات الغدد الداخلية فى الجسم . وهو مخدر وسام ، شديد الخطورة . والاتروبين من صنف القواعد النباتية Alkaloids ، يكمن بالدرجة الاولى فى الاوراق والجذور من النبتة . وقانونه الكيمياوي هو :

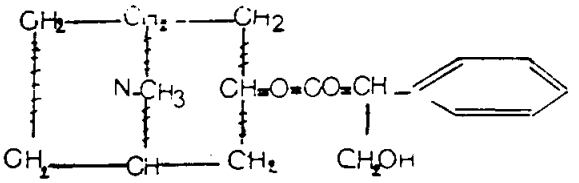

أتروبين atropine

وقبل ان نعرض ما أُعِدَّ من آخر الانماط نرى لزاما علينا أن نهيب بالاعمال العظيمة التى حققها المترجمون الاوائل ، فقد استطاعوا بجدارة تعريب الكثير من المصطلحات فى مختلف العلوم والفنون وأدخلوها الى اللغة العربية ، وقالوا — كما قدمنا — انها من اصل كذا وكذا . وهذه هى الامانة العلمية الحقيقية .

وبعد دور الترجمة جاء دور التأليف والابداع ، وهنا اخذ الفيلسوف والعالم يضع المصطلحات والاسماء ، فجاءت هذه مكملة لما نقل وترجم من قبل، وكانت حصيلة ذلك كله النهضة التى شع نورها من البلاد العربية والاسلامية الى غيرها من البلدان، ذلك النور الساطع الذي انار لاوروبا طريق الفكر والمعرفة .

زيتُ الزّاج :

وضع هذا المصطلح جابر بن حيان ، واستعمله الرازي من بعده ، فقد حُضِّر من الزاج الازرق سائلا زيتي القوام ، أُطلِق عليه اسم « زيت الزاج » او الزيت المذيب ، وهذا هو حامض الكبريت . H_2SO_4

والزاج جمعها الزاجات ، مواد معروفة منذ العصور القديمة جدا ، وهى كبريتات المعادن الثقيلة . والزاج الازرق هو كبريتات النحاس المائية ذات اللون الازرق $Cus\ o_4 \cdot 5H_2 0$

المياه الحادّة :

حضّر جابر بن حيان حامض النتريك ، وربما حامض الكلوريد ريك أيضا — وقد أطلق على الحوامض المصطلح « المياه الحادة » .

لقد مزج جابر الحامضين (النتريك والكلوريد ريك) فحصل على « الماء الحاد » الذي أذاب به الذهب . وقد سمي هذا الماء فى اللغة اللاتينية — متأخرا — Aqua regia اي الماء الذي يذيب ملك المعادن — الذهب — ، ثم سمي فى اللغة الالمانية Königswasser اي الماء الملكي .

التّكْليس :

قال جابر بن حيان : ان التكليس عملية ضرورية فى الكيمياء ، وتكاد تكون مقصورة على المعادن ، لانها تبدأ بالتسخين الشديد الذي لا تقوى عليه الارواح — كملح النوشادر — فتتطاير ، والغرض من التكليس إزالة الشوائب الممتزجة بالمعدن وحرقها ، فنتركه نقيا — وهذه هي إحدى عمليات التعدين المعروفة

اليـــوم .

ويقال كَلْسَرَ والكِلْس والتكليسُ والكالسيوم ، عنصر معـروف Calsium رمـزه Ca

التصْعِيـــد :

وصف جابر بن حيان التصعيد ، انـه للارواح بمنزلة التكليس للمعادن ، والمقصود هنا التنقيـة بطريقة التسامي Sublimation كتنقية الكبريـت والكافور ، وغيرهما من المواد الكيمياوية عضويـة وغير عضويـة .

• • •

هذه بعض الامثلة على ما جاء من مصطلحات فى الحضارة العربية ، وهى غيض من فيض . ونرجو ان يعتبر هذا الحديث بمثابة المفتاح لفتح باب المناقشة حول وضع المصطلح الكيمياوي الذي اجتمعنا من اجله فى بلدنا الثانى ــ تونس الحبيبة ــ ولنا وطيد الأمل بأن نخرج باسس بناءة يسير عليها المؤلفون والمترجمون من ابناء أمتنا .

وقد يسأل سائل ، كيف اخترت هذه الانماط ، والجواب على ذلك هو : اننا دققنا اكثر من ستمائة مصطلح ، فاصبب ما درس منها فى « القرعة » وليس بالتعيين . وعسى ان نكون قد استطعنا عرضها بصورة تتفق وواقعها العلمي .

ان الكشف عن المزيد من المآثر العربية امـر منوط بشباب هذه الامة ، ذات الحضارة العريقـة ، وهم علماء المستقبل ، وعليهم تقع مسؤولية النهوض بها ، واعادة مجدها العلمي الذي قدم للحضـارة والانسانية أجل الخدمـات . وندعو الله العلـي القديـر بأن يأتي اليوم الذي يتلاقى فيه المغـرب والمشرق فى فكر عربي جديد يتلاءم والمدنية العالمية الحاضرة وعلومها الحديثة . « وان غدا لناظـره قريب » .

ونرجو أن يوفق كل من « مكتب التعريـب فى الرباط » و « بيت الحكمة فى بغداد » فى اعمالهما .

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسولـه والمؤمنـون » .

المـــراجـــع :

1 ــ لسان العرب ــ لابن منظـــور .

2 ــ القاموس المحيط ــ للفيروز ابادي .

3 ــ محيط المحيط ــ للبستاني ــ بيروت 1977 .

4 ــ معجم في العلوم الطبية والطبيعية ــ تامـــوس شرف . القاهرة 1929 .

5 ــ معجم الالفاظ الزراعية ــ مصطفى الشهابي ــ القاهـــرة 1957 .

6 ــ المورد ــ منير البعلبكي ــ بيروت 1969 .

7 ــ معجم اسماء النباتات الواردة في تاج العروس . مصطفى الدمياطـــي . القاهرة 1965 .

8 ــ شرح اسماء العقار ــ لابي عمران موسى القرطبي . تحقيق ماكس مايرهوف . القاهرة 1940 .

9 - Der Neue Brockhaus.(Leibzig 1938)

10 - British Encyclopedia.

11 - B. Neuman : Lehrbuch der Chemischen Technologie (Berlin 1938)

12 - P. Karrer : Organic Chemistry (Amsterdam 1950)

13 - H. Remy : Lehrbueh der organischen Chemie (Leibzig 1940)

14 - M. Levey : Chemistry and Chemical Technology in Ancient Mesopotamia .

15 - V. Tyler J. E. Claus : Pharmacognosy (Phild. 1968).

16 ــ الجامع لمفردات الادوية والاغذية ــ لابـن البيطـــار .

17 ــ المعتمد في الادوية المفردة ــ تحقيق مصطفى السقا . مصر 1951 .

18 ــ تذكرة ابن ارمانيوس ــ القاهرة 1922 .

19 ــ تحفة حكيم مؤمن ــ تحقيق محمود نجم آبادي ايـــران .

20 ــ كتاب التلخيص في معرفة اسماء الاشياء ــ لابي هلال العسكـــري ج 2 . تحقيق عزة حسن . دمشـــق 1970 .

21 ــ التداوي بالاعشاب ــ امين رويحة ــ بيروت 1965 .

22 ــ احياء التذكرة ــ رمزي مفتاح . 1953 مصر .

23 ــ نباتات شافية ــ تاليف ــ ميليسنت سيلسم ــ ترجمة جعفر خياط ــ بغداد 1962 .

24 ــ جابر الشكري ــ محاضرات في تاريخ العلم والحضارة العربية (ملازم 1978 بغداد) .

25 ــ جابر الشكري ــ مجلة الكيمياوي ــ المجلد2 ع الثاني ــ 1978 ، بغداد .

الألفاظ العربية
بين المعنى اللفظي والدلالة الفكرية والاجتماعية

الدكتورة ابتسام مرهون الصفار
كلية الآداب - فاس

من المعلوم ان علم الدلالة او ما يسمى بسيمانتكس (Semantics) هو من العلوم التي نشطت في أوربا في العصر الحديث (1) ، وكتب فيه علماء من شتى الاختصاصات ، كما أن الدراسات اللغوية بصورة عامة قد نالت اهتماماً كبيراً من لدن الباحثين ، وتخصص علماء كثيرون في ميادين متشعبة منها ، لان اللغة — اي لغة — تعتبر الوسيلة المهمة التي تحفظ كيان الأمم ، وتسجل تراثها ، وهي مرآة حقيقية تجسد حضارتها ومعتقداتها، وتقاليدها وازدهار سبل الحياة فيها او ترديها . كما تسجل اللغة دقائق حياة الشعوب ، وما انطوت عليه من اسباب تقدمها، ورقيها أو انحطاطها وانهيارها .

واذا كان علم دلالة الالفاظ ليس بحثاً لغوياً صرفاً ، بل يتناول جميع المعارف التي أدركها العقل الانساني ، والمجهود البشري من علوم ولغات وكشوف ، ومخترعات ونظريات) (2) فاننا سنحاول تطبيق هذه المقولة بتناول جانب واحد من جوانب اللغة ودلالة الالفاظ فنختار منها الالفاظ التي لها دلالات مختلفة تتجاوز المعنى اللفظي او المعجمي الى معان قد تؤثر في تفكير العربي ، وتصبغ سلوكه ، وتحركه في المجتمع والحياة . فبعض الالفاظ ترتبط في أذهان مجموعة من الناس بمعان قد تختلف عن دلالتها في أذهان آخرين ينتمون الى نفس الامة ، او يجاورونه ومن هنا فان استعمالهم لهذه الالفاظ متعلق بما توحيه

---

1) هذا هو القول الشائع الا ان تحقيق الكتب القديمة اظهر ان للعرب بدايات في هذا العلم وان علماءنا قد وضعوا اللبنة الاولى فيه ، وسبقوا الاوربيين في هذا العلم الذي يعتبر من اهم علوم اللغة في العصر الحديث ، فكتاب الزينة في الكلمات العربية الاسلامية للرازي (ت 322 هـ) يعتبر من المؤلفات العربية التي عالج مؤلفوها موضوع دلالة الالفاظ وتطورها ، وهو يسوق النصوص والشواهد الصحيحة التي تؤيد ما يقول ، ويرتبها في بعض الاحيان ترتيبا تاريخيا يبين للقارىء اصل الدلالة وكيف تطورت ، فيستطيع ان يستنبط سبب هذا التطور. الزينة ص 12 مقدمة إبراهيم أنيس .

فى نفوسهم من معان من جهة ، وبحاجتهم للتعبير عن هذه المعانى من جهة اخرى .

ومجموعة الالفاظ التى اخترناها تتعلق بجانب مهم من جوانب السلوك الاجتماعى للعرب قديما ، وعلاقتها بتفكيرهم ومعتقداتهم ، او تاثيرها على سلوك بعضهم بشكل قد يخالفون به غيرهم من العرب. هذه الالفاظ تتعلق بموضوع الطيرة والفال او بالاحرى بالمظاهر التى كان العرب يتطيرون منها ، او يتفاءلون بها ودلالة الالفاظ واشتقاقاتها عليه . واذا كان موضوع الطيرة والفال يستحق الدراسة وحده فاننا سنختار ـ كما قلنا ـ جانب الالفاظ التى اقترنت فى الذهن العربى بافكار معينة او بسلوك تفرضه على المتكلم او السامع إن عرضت أمامه ، وان اختلف استعمالها تبعا لاختلاف نفسية الناس ، وما جبلت عليه من رهافة حس قد يوصلها الى الوسواس والتشكك، او ما جبلت عليه من عزيمة وإصرار ، تحولان دون الاحجام والتردد .

. وسوف نحاول تقسيم هذه الالفاظ الى مجموعات:

الاولى : ألفاظ لمسميات وأشياء مادية يعدل عنها الى ألفاظ اخرى ، لا لشىء الا لان نفسية السامع مرهفة حزينة متشائمة سرعان ما تشتق من هذه الأسماء أفعالا يتطير منها او يتشاءم منها ، وأسماء اخرى لمسميات ، وأشياء مادية اذا ذكرت أثارت دلالتها فى النفس الخير والفرحة والتفاؤل .

الثانية : ألفاظ يعدل عنها الى أخرى تؤدي عكس معناها اما تفاؤلاً او ذوقاً او مجاملة.

الثالثة : ألفاظ يعدل عن ذكرها ويلجأ الى الكناية والرمز هربا من استعمالها مجاملة او ذوقا او تطيرا ايضا .

ولنبدأ بتتبع الفاظ المجموعة الاولى مفتتحين دراستنا باكثر الالفاظ شيوعا فى هذا المجال وهو لفظ:

الغراب : ودلالته فى الذهن العربى على معانى الشؤم والشر ، فاذا وصف شخص بانه غراب لم يرد بذلك لونه او شكله وانما يريدون وصفه بالشؤم لما اقترنت به لفظة الغراب من معانى الشر فى الذهن العربى . وما يزال الناس ـ فى العراق مثلا ـ اذا بعثوا شخصا ما فى مهمة فانهم يسألونه عند عودته : احمامة ام غراب ؟ يريدون هل وفقت فى مهمتك أم فشلت فكنوا عن التوفيق بالحمامة وعن الفشل بالغراب ، ذلك ان العرب اعتبروا الغراب شر الطيور (3) ، وهو اكثر من جميع ما يتطير به فى باب الشؤم منهم يذكرونه كلما ذكروا ما يتطيرون منه ، وقد يذكرون الغراب ، ولا يذكرون غيره ، ثم اذا ذكروا كل واحد من هذا الباب لا يمكنهم ان يتطيروا منه الا من وجه واحد ، والغراب كثير المعانى فى هذا الباب فهو المتدم بالشؤم (4) كما يقول الجاحظ الذي علل سبب تشاؤمهم منه ، وعزا ذلك الى امرين هما : لونه الاسود ، ولانه لا يعيش الا فى الاماكن المهجورة ، ولذا ارتبط وجوده بديار الاحبة التى هجرها اهلها .

اما صوت الغراب فهو نذير السوء ، وهو الغيب الذي ينبىء بالفراق والشر . يقول ابو خولة الرياحى واصفا قوما بالشؤم ، وعدم اقدامهم على الخير :

مشائيم ليسوا مصلحين عشيرة
ولا ناعب الا ببين غرابها (5)

ويقول عنترة بن شداد :

ظعن الذين فراقهم اتوقع
وجرى ببينهم الغراب الابقع
حرق الجناح كان لحيي راسه
جلمان بالاخبار هش مولع
نزجرته الا ينفرخ عشه
ابدا ، ويصبح واحدا يتفجع
ان الذين نعيت لي بفراقهم
هم اسهروا ليل التمام فاوجعوا(6)

---

2) حسين بن فيض الله الهمدانى فى مقدمته لكتاب الزينة ص 15
3) انظر فى هذا كتاب اللغة والمجتمع لعبد الواحد وافى ص 10 .
4) الحيوان 443/3 وانظر فى هذا شعرا لابن الزبير فى بنى أمية فى الحيوان ايضا 432/3
5) الحيوان 431/3

ويقول ابو الشيص فى هذا الباب ذاكرا ان نعبات الغراب انما هى اعلان عن قرب وقوع الغربة ، والبعاد، وبهذا تحول المعنى اللفظى لكلمة (غراب) من أطلاقها على طائر بعينه الى اشتقاق يفهم منه الغربة والبعد :

اشاقك والليل ملقى الجران
غراب ينوح على غصن بان
احص الجناح شديد الصياح
يبكي بعينين ما تذرفان
وفي نعبات الغراب اغتراب
وفي البان بين بعيد التدان (7)

اما جميل بثينة فانه يحمل الغراب تبعة فراقه لأحبته ، وكأنه هو المسؤول عن ذلك فصوته قبيح بخبره دائما بان لا لقاء له مع حبيبته لذا فهو يدعو عليه بويلات الفراق ، ويكسر الجناح :

الا يا غراب البين فيم تصيح
فصوتك مشئي الي قبيح
وكل غداة لا ابالك تنتحي
الي فتلقاني وانت مشيح
تحدثني ان لست لاقي نعمة
بعدت ، ولا امسى لديك نصيح(8)

ويقول ايضا :

الا يا غراب البين لونك شاحب
وانت بروعات الفراق جدير
فان كان حقا ما تقول فاصبحت
همومك شتى والجناح كسير (9)

ومثل هذا قول قيس بن ذريح فى دعائه على الغراب بان لا يحمل عشه بيضة واحدة ، وان يكون جناحه واهيا ، وهو وان ينكر على الغراب ان يكون عنده علم الغيب الا انه يبدو مقتنعا بما يوحيه صوته من معنى الفراق والقطيعة ، فكيف به والغراب يمر عن شماله بما توحيه فكرة زجر الطائر ، ومروره من شمال الانسان (10) ، من معانى الشؤم والطيرة :

الا يا غراب البين ما لك كلما
تذكرت لبنى طرت لى عن شماليا
اعندك علم الغيب ام انت مخبري
عن الحي الا بالذي قد بداليا
فلا حملت رجلاك عشا لبيضة
ولا زال عظم من جناحك واهيا (11)

ولعلة ما وجدناهم يميزون بين صيحات الغراب، فاذا صاح مرتين فهو شر ، وان صاح ثلاث مرات فهو خير على قدر عدد المرات (12) .

ومن باب التطير من الغراب اطلقوا عليه اسم الاعور ، وهو ليس كذلك ، لانه كما يقول الجاحظ (ناقد البصر ، صافي العين حتى قالوا : اصفى من عين الغراب، كما قالوا اصفى من عين الديك، وسموه الاعور كناية) (13) فهل سموه بالاعور تخلصا من ذكر لفظه الذي يتشاءمون منه ؟ ان كان كذلك فانهم قد تشاءموا من الاعور ايضا - والارجح انهم وصفوه بالاعور ، وكأنهم يشتمونه دلالة على كرههم له .

أما استعمال لفظ الغراب لدلالته اللفظية على اشتقاق أفعال تتناسب وعقلية السامع والمتحدث فهو المجال الذي نريد عرضه هنا ، فهم حين يرون الغراب لا يتطيرون من رؤيته كما اظهرت الشواهد السابقة فحسب ، بل انهم سرعان ما تحدثهم نفوسهم بهواجس سببها طبيعة تركيب حروف كلمة الغراب ، فهم يشتقون منه لفظ الاغتراب والغربة فى الذهن ، وهو بهذا نذير سوء لمن يتملكه الهاجس بهذا الشكل ، ولولا رهافة حس المتشائم لما اشتق من كلمة الغراب ، الغربة وهو الذي يستطيع ان يشتق منها الرغبة ، والبر ، ورغب ، ورب ، وبر مما يمكن أن تؤلفه حروف لفظ الغراب (14) يقول كثير عزة ، وقد راى غرابا ينتف

---

6) شرح ديوان عنترة بن شداد 103 — 104
7) عيون الاخبار 194/1
8) ديوان جميل بثينة 50 .
9) ن. م. 94
10) راجع كتابنا التعابير القرآنية والبيئة العربية : 165
11) الحاسة البصرية 197/1 ، وانظر ايضا ابياتا اخرى فى التطير فى كتاب المعانى الكبير لابن قتيبة 262/1 ، الحيوان 429/3 وحماسة ابن الشجري : 210 ، بلوغ الارب ، 337/2 .
12) الحيوان 458/3
13) ن. م. 335/2 وقد ورد ذلك فى شعر الحطيئة : ديوانه برواية ابن السكيت : 155 ، وفى شعر ابى حية النميري فى الحيوان 428/3 .

ريشه متجسدت امامه كل معاني الشر ، اما البان الذي وقف عليه الغراب فسرعان ما اشتق منه لفظ البين :

رايت غرابا واقعا فوق بانة
ينتف اعلى ريشه ويطايره
تقلت ولو اني اشاء زجرته
بنفسي للنهدي هل انت زاجره

والنهدي رجل من بني نهد — وهم من أزجر العرب واكثرهم تفسيرا لحوادث المستقبل من ظواهر يرونها :

متال غراب باغتراب من النوى
وبالبان بين من حبيب تعاشره (15)

فالشاعر هنا لم يكتف باشتقاق الغربة من لفظ الغراب بل اشتق من لفظ البان البين والفراق في الوقت الذي اقترنت دلالة البان عند الشعراء المتغزلين بوصف المحبوبة ، لانهم كثيرا ما شبهوا النساء الرشيقات به ، ولكن الشاعر وجه دلالة الكلمة من اطلاقها على غصن بعينه الى دلالة لفظها بما يشتق منه .. وقد بنوا على هذه الرواية خبرا فصلوا فيه كيف ان كثيرا حين راى الغراب ينتف ريشه ، ويطايره عن راسه ، تشاءم ثم ذهب الى عراف من نهد فاخبره الخبر المشئوم (16) بوفاة صاحبته :

ويقول شاعر آخر جامعا دلالتي البين والغربة في بيتين من الشعر :

تغنى الطائران ببين سلمى
على غصنين من غرب وبان
فكان البان أن بانت سليمى
وفي الغرب اغتراب غير دان (17)

والصرد

طائر آخر لم يذكر القدماء أن العرب تشاءمو منه تشاؤمهم من الغراب ولكن الشاعر المحب اليائس من وصال حبيبته يغير دلالة الكلمة من اطلاقها على طائر بعينه الى اشتقاق لفظ ينسجم مع نفسيته المتالمة فيذكر التصريد وهو التقليل دلالة جديدة يحيط بها لفظ الصرد الذي رآه واقفا على غصن من الغصون :

دعا صرد يوما على غصن شوحط

وصاح بذات البين منها غرابها
تقلت أتصريد وشحط وغربة
فهذا لعمري نايها واغترابها (18)

اما الشوحط الذي هو ضرب من الشجر تتخذ منه القسي فان الشاعر هنا اشتق لفظ الشحط وهو النوى فزاده ذلك أسى وحزنا .

والغصن الذي اقترنت دلالته في ذهن الشعراء والناس عامة بالخضرة والجمال والفتنة وقرنوا حركاته الرشيقة اذا لاعبته الريح الهادئة بتهادي المحبوبة ، هذا اللفظ نجده عند بعض الشعراء يفقد دلالاته الجميلة

---

14) على ان هناك امثلة اخرى لشعراء رفضوا فكرة التشاؤم من الغراب ، وتفاخروا بانهم اذا قصدوا امرا فانهم لا يثنيهم عنه صوت غراب او غيره انظر الحيوان 149/3 ، عيون الاخبار 145/1 ، اللسان مادة (وقي) . اما عبيد الله بن قيس الرقيات فانه لم ينكر التطير من الغراب فحسب ، بل تجاوز ذلك الى التفاؤل به ، واعتبر نعيقه رسالة بشرى من صاحبته سعدى بأن وصالها سيكون قريبا . ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : 84 .

15) ديوان كثير عزة ، الحيوان 441/3 وقد ذكروا قصة منسوبة لابي ذؤيب يتشاءم فيها من جملة امور يشتق منها الفاظا يفسرها حسب هواه ، وانه ما ان قدم المدينة حتى سمع بكاء المسلمين على الرسول صلى الله عليه وسلم ونعيهم له — بلوغ الارب 314/3 .

16) الموشى : 175 وفي رواية اخرى ان العراف كان من بني الازد ، وانه قال له تذهب مصر ، وتراها قد ماتت او خلف عليها رجل من بني عمها ، فلما انصرف وجدها قد تزوجت، عيون الاخبار 148/1 .

17) الحيوان 440/3 ونسب ابن قتيبة البيتين للشاعر المسمى بالمعلوط عيون 149/1 ، وهما في نثار الازهار لابن منظور : 75 منسوبان لجحدر بن الفتمسي .

ويقتصر على دلالة واحدة مؤلمة يشتقونها من بعض حرونه ، وهى الغصص والحرقة والالم :

اقـول يـوم تلاقينـا وقد سجمت
حمامتـان على غصنيـن من بـان
الآن اعلم ان الغصن لـي غـصص
وانما الـبـان بين عـاجـل دان
فرحت تخفضني ارضـى وترفعني
حتى ونيت وهدّ السير اركاني (19)

واذا كان الشاعر لا يرتاح لهبوب الجنوب لانها ريح تزيد ضيق نفسه بهوائها الحار فان المتشائم يضيف اليها دلالة اخرى لا علاقة لها بطبيعة هـذه الريح ، وانما يشتق منها لفظ الاجتناب عن الاحبة ، والبعد عنهم . اما الصبا التى طالما تغنى بها شعراء الغزل ؛ لانها تذكرهم بانفاس من يحبون ، او انهم يتخيلون عند هبوبها وشم نسائمها العليلة انها تحمل تحيات احبائهم البعيدين ، الا ان المتشائم ينسى كل هذه الصور الجميلة ، ولا يبقى فى ذهنه الا اللفظ الذي يشتقه عن تركيب حروفها وهى **الاجتناب من الجنوب** والصبابة والهجر من **الصبا** اما القضية التى وقـف عليها الغراب فقد اشتق منها لفظ قضب الهـوى اي قطع المودة يقول ذو الرمة :

رابت غرابا ساقـطـا فوق قضبة
من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غـراب لاغتـراب وقضبـة
لقضب الهوى هذي الميافة والزجر
وهبت جنوب باجتنابـي منـهـم
وهاجت صبا قلت الصبابة والهجر(20)

وقد جمع الجاحظ مجموعة من الالفاظ فى قطعة شعرية انشدها على لسان صاحب الغـراب الذي احتج لتشاؤم الناس منه بقوله :

نظـرت واصحابي ببطن طـويلـع
ضحيا وقد افضى الى اللبب الحبل
الى ظبية تعطو سيـالا تصـوره
بجانبها الأفنان ذو جـدد طفـل
فقلت وعفت **الحبل حبل** وصالهـا
تجذذه سلمـاك وانصرم الحبـل
وقلـت سيـال قـد تسلت مودتي
تصور غصونا صار جثمانها يعلـو
وعفت الغدير الطفل طفلا أتت به
فقلـت لأصحابي مضيتكـم جهـل
رجوعي حـزم وامترائي ضـلـة
كذلك كان الزجر يصدقني قبل (21)

فصاحب الغراب هنا يحتج على تشاؤمهم مـن الغراب ، واشتقاقهم الغربة منه ، وكل لفظ يحتمل عدة اشتقاقات قد يكون من ضمنها معان يتشاءم منها، فلم خص الغراب بها ؟ ولذلك جاء بالابيـات التـى شحنت بالالفاظ التى يمكن ان يشتق منها ما يـدل على التشاؤم فقد راى الشاعر ظبية تجاذب شجرة مع طفل لها فاشتق من السيال (نوع من الشجر) لفظة توحى له بان مودة صاحبته قد تسلت ، واما الحبل فهو تنبيه له بانها ستقطع حبل وصالـهـا ، وتهجره . واشتق من الطفل المصاحب للظبية طفلا تلده صاحبته اي انها ستتزوج قريبا فتبتعد عنه...وهكذا من مشهد واحد التقط الفاظا اشتق منها ما يتشاءم منه ليستدل بذلك على ان الغراب ليس وحده الذي يتشاءم منه او يشتق من لفظه لفظ الغربة والاغتراب ...

ونجد عكس هذه الابيات ومعانيها فى قصيدة لابى حية النميري ينهج فيها منهجا مختلفا تماما عن منهج المتشائمين ، فهو ان سار مع قومه متجها الى ارضهم لا تسيره الا النية الصالحة والفال الجميل ، وكل مـا يراه من مظاهر يتشاءم منها القوم ان هـى فى نظره دوافع تدفعه الى الاستمرار على ما اقدم عليه فـان مر طائر سنيح لم يتشاءم منه بل فسره بانه جـار مر قربه ، وان اشتق القوم لفظ **العقاب** اذا راوا **عقابا** وتشاءموا منه فانه يشتق من نفس اللفظ صيغة تدخل السرور الى نفسه وهى ان القرب من الديار سيعقبهم بعد البعاد ، وان راوا **الهدهد** وتشاءموا منه اشتـق بسرعة لفظة ترسم فى ذهنه **دوام المحبة والصفاء** ، وان راوا **هدهدا** فوق بانة فذلك فى نظره هدى وبيان

---

18) الحيوان 437/3 والبيتان فى زهر الاداب 168/2.
19) بلوغ الارب 335/2 وفيها تحريف صوبناه اذ كتبت الكلمة الاولى من البيت الاول اقوم ، وكلمة هد فى البيت الثالث محرفة الى حد .
20) ديوان شعر ذي الرمة 300 ، بلوغ الارب 336/2 .

للطريق الذي توجهوا نحوه وليس البين والفراق كما يشتق الآخرون - اما اذا راوا **حمامات** واشتقوا من لفظها الحمام الموت او ربما **الحمى** (المرض) او حمّ الفراق - فان شاعرنا يتفاءل ويشتق من الحمامات حم القرب والوصال :

بدا اذ تصدنا عامدين لارضنا
سنيح فقال القوم مر سنيح
وهب رجال ان يقولوا وحمحموا
فقلت لهم جار الي ربيح
عقاب باعقاب في الدار بعدما
مضت نية لا تستطاع طروح
وقالوا دم دامت مودة بيننا
وعاد لنا غصن الشباب قريح
وقال صحابي هدهد فوق بانة
هدى وبيان في الطريق يلوح(22)
وقالوا حمامات نحم لقاؤها
وعادت لنا ريح الوصال تفوح

ومثل هذه الالفاظ التي ذكرناها الفاظ اخرى تشترك دلالتها ومعانيها باختلاف نفسية السامع او المتكلم **فالريحان** يقترن في نفسية المتفائل بالروح وشكله الجميل يضفي على دلالة لفظه معنى الفرح والاستبشار ، اما المتشائم فانه يتطير منه لانه يتذكر (بان طعمه مر وان كان في العين والانف مقبولا)(23) .

وذكر الوشاء بانهم تطيروا من الخلاف — وهو صنف من الصفصاف وحبه اكبر من الحمص — لانهم اشتقوا من لفظه الخلف والخلاف والاختلاف (24)

ومن هذه الالفاظ ايضا **الخروبة** ، وهي نبت معروف ولكنهم اشتقوا منه لفظ الخراب ، ويروون خبرا واسطورة عن النبي سليمان يؤكدون به صحة ما يشتقون منه هذا اللفظ ، وذلك انهم يقولون بان الشجر الذي كان في محراب سليمان النبي كانت متكلمة بلسان ذلق فكانت الشجرة تقول : انا شجرة كذا وفي دواء كذا فيامر بها سليمان فيكتب اسمها ، وصفتها وصورتها ، وتقطع وترفع في الخزائن حتى كان آخر ما جاء منها الخروبة فقالت : انا الخروبة فقال سليمان الآن تعيت لي نفسي ، واذن في خراب بيت المقدس(25).

●

ومن الالفاظ التي يعدل عنها الى غيرها مجموعة لها معان معجمية معينة فيعدل عنها الى غيرها قد تكون ضدها في المعنى وهو ما يسمى بالعربية بباب الاضداد الذي بحث فيه علماء اللغة واختلفت آراؤهم فيه فبعضهم انكر وجوده وراح يذكر العلل والاسباب والشواهد التي تبين سبب وقوع هذه الظاهرة في بعض الالفاظ وحكمة وجودها كالاصمعي وابي عبيدة والسجستاني وابن السكيت وثعلب وابن الانباري وغيرهم (26) ومنهم من انكر وجود هذه الظاهرة اللغوية وتاول كل الالفاظ الواردة في اللغة العربية لينكر وجود ما يسمى بالاضداد مثل ابن درستويه الذي ذكره السيوطي في المزهر وانه الف كتاب ابطال الاضداد (27) ومنهم من اعتبر الاضداد

---

21) الحيوان 444/3
22) الحيوان 445/3 ، زهر الاداب 167/2 ، بلوغ الارب 336/2
23) الحيوان 457/3
24) الموشى للوشاء : 175
25) عيون الاخبار 150/1
26) ممن الف في الاضداد من القدماء محمد بن المستنير المعروف بقطرب المتوفى سنة 206هـ وقد نشر كتابه المستشرق برونله سنة 1900 ، وحققه هانس كونلر وطبعه ضمن مجلة اسلاميكا المجلد الخامس سنة 1931 ونشر المستشرق اوغست هوفنر ثلاثة كتب في الاضداد هي الاضداد للاصمعي والاضداد لأبي حاتم والاضداد لابن السكيت وقد طبعت ببيروت سنة 1913 بمطبعة اليسوعيين وطبعت بمطبعة الكاثوليك 1922 ، والف سعيد بن المبارك المعروف بابن الدهان كتاب (الاضداد) ونشر ضمن مجموعة بتحقيق محمد حسين آل ياسين وطبع في النجف سنة 1953 ، ثم أعيد طبعه ببغداد سنة 1963 ، والف ابو القاسم بن الانباري المتوفى سنة 328 هـ كتاب الاضداد في اللغة وقد نشر في ليون نشره المستشرق هولسما سنة 1881 ثم في 1925 ، واخيرا طبع بتحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم سلسلة تراث العرب — الكويت 1960 ، وقد كتب له تقي الدين عبد القادر التميمي المصري ت 1005 هـ مختصرا لكتاب ابن الانباري ، كما الف حسن بن محمد الصنعاني المتوفى سنة 605 هـ كتابا في الاضداد ايضا (انظر كشف الظنون ج1/115 — 116) الطبعة الثالثة .

منقصة للعرب وطعنا يتهمون به اصحاب هذه اللغة بالتناقض وقلة البلاغة وقد سماهم ابن الانباري بانهم من اهل البديع والزيغ والازراء بالعرب (28) . وقد عالج هؤلاء المؤلفون الفاظ الاضداد وورودها في اللغة والشعر وسنتناول ما يفيدنا في دلالة الالفاظ والعدول عن معانيها التي وضعت لها اصلا الى معان هي ضدها حقيقة ولكنهم يلجأون اليها لسبب قد يكون تفاؤلا او مجاملة وتأدبا ، أو تهربا من حرج فتبتدو لبعضهم وكأنها اضداد للفظ نفسه .

فمن الالفاظ التي يعدل عنها الى ضدها ما يدخل ضمن موضوع التفاؤل والامل مثل تسمية العرب **المريض بالسالم .**

واللديغ بالسليم

وقد نص الاصمعي وابو عبيد وغيرهما على ان العرب سمت المريض بالسالم واللديغ بالسليم على جهة التفاؤل بالسلامة خلافا لما يحذر عليه منه(29) ولكي يدخلوا السرور والامل في نفسه ونفس أهله.. ثم نسي الاصل وبقي لفظ السليم « الصفة » يطلق اسما لكل من تلدغه حية ، يقول الشاعر :

ارقت ونام عني من يلوم
ولكن لم انم انا والهموم
كأني من تذكرها الاتي
اذا ما اظلم الليل البهيم
ومن تاميل رؤية ام جهم
وقد خفيت مع الغور النجوم
سليم مل منه اقتربوه
واسلمه المجاور والحميم (30)

فالشاعر هنا يشبه تقلبه على فراشه ليلا ، وارقه بسبب تذكر محبوبته بتقلب اللديغ المتألم من اوجاع السم في جسده، ولكنه لم يستعمل اللفظ الاصلي بل استعمل الصفة التي ذكرناها مع انه لم يرد بها التفاؤل في هذا الموضوع .

ويقول شاعر آخر في نفس هذا المعنى :

بلاقي من تذكر آل ليلى
كما يلقى السليم من العداد

وقد يستعار لفظ السليم للجريح المشفي على الهلكة والموت ، وعدم اطلاق اللفظة او استعارتها للجريح مطلقا توضح ما قلناه من انها استعيرت تفاؤلا ولكي يدخلوا السرور والامل في نفس الجريح او ذويه اذا شعروا ان جريحهم اشفى على التلف والهلاك وقد انشد ابن الاعرابي :

يشكو اذا شد له حزامه
شكوى سليم ذربت كلامه (31)

قال وقد يكون السليم هنا اللديغ ، وسمي موضع نهش الحية منه كلما على الاستعارة ، على ان هناك شاهدا آخر تذكره كتب اللغة في استعارة لفظ السليم للجريح المشفى على الهلاك وهو قول الشاعر :

وطيري بمخراق اشم كأنه
سليم رماح لم تنله الزعانف(32)

ومن هذه الالفاظ المفازة وهي اسم للصحراء الواسعة الاطراف التي قد يتوقع فيها الهلاك والضياع واطلق عليها بدلا من تسميتها او وصفها بالمهلكة تفاؤلا لمن يزمع السفر فيها ، وتيمنا له بالفوز والنجاة . قال الاصمعي وابو عبيد وغيرهما : سميت مفازة على جهة التفاؤل لمن دخلها بالفوز كما قيل للاسود ابو البيضاء وقيل للعطشان ريان (33) . على ان بعضهم ممن ينكر الاضداد ويتأول الالفاظ وجه اللفظة توجيها آخر وأنها مفعلة من قول العرب قد فوز الرجل اذا هلك (34) . وارجح ان يكون لفظ المفازة من الالفاظ

---

27) المزهر 396/1
28) الاضداد في اللغة لابن الانباري ص 2 .وانظر الصاحبي لابن فارس ص 666
29) عيون الاخبار 146/1 ، الاضداد للسجستاني 114 ، لسان العرب مادة (سلم)
30) بلوغ الارب 338/2
31) لسان العرب مادة (سلم) تاج العروس (سلم) وتأول بعضهم لفظة السليم على انها ليست من الاضداد وانما هي من سلم اي انه مسلم لما به وما ذكرناه إعلاه مرجح عليه للنصوص التي ذكرناها .
32) الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس مادة فوز
33) لسان العرب (فوز)

التي عدل بها عن ضدها تفاؤلا وتيمنا ، وهو امر شائع بالعربية وقد اشار اليه بعض الشعراء وهو يهجو رجلا اسمه كثير بان اباه ما سماه بهذا الاسم الا من باب قلب المسميات الى اضدادها ولانه راى نفسه قليلا عاجزا عن تعداد المفاخر والامجاد ، يقول :

احب النسال حين راى كثيرا
ابوه عن اقتناء المجد عاجز
فسماه لقلته كثيرا
كتقليب المهالك بالمفاوز (35)

●

وهناك الفاظ يعدل عنها الى اضدادها ادبا وحسن تخلص . فالبرص بما يوحيه من معاني الالم في نفسية صاحبه او لما يثيره من مشاعر الاسف او التقزز في نفسية السامعين عدل عنه العرب — في بعض الالفاظ — الى لفظ آخر يكنون به عنه .

فجديمة الابرش بن مالك بن فهم الازدي ملك العرب سمي بالابرش الوضاح (36) لانه كان ابرص فهابت العرب ان تقول له الابرص فكنوا به عنه تهربا من لفظة تذكره بعيبه او مرضه او ربما يشم منها لفظ تعييس وشتيمة .

ومن هذه الالفاظ البصير للرجل الاعمى الذي فقد بصره وقد ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم اذهب بنا الى فلان البصير وكان اعمى .

ومن هذه الالفاظ ايضا الابيض حين تطلق على الاسود لئلا يفهم من الوصف شتيمة او عيبا ومثلها الممتع للاعور ، وما يزال عامة الناس في العراق اذا ارادوا ان يصفوا رجلا بالعور كنوا عنه بعبارة (كريم العين) ادبا وتهربا من سوء الفهم اذا تبادر الى الذهن أن المتكلم قد يقصد المنقصة والعيب .

وقد ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : العقل على المسلمين عامة ولا يترك في الاسلام مفرح (37) . قال الاصمعي المفرح : المثقل الدين ؛ وقال ابو بكر بن الانباري اي يقضى دين المفرح من بيت المال اذا لم يجد سبيلا الى قضائه ، يقال قد افرح فلانا الدين اذا اثقله قال الشاعر :

اذا انت لم تبرح تؤدي امانة
وتحمل اخرى افرحتك الودائع

اراد اثقلتك (38) ولفظ مفرح هذه يبدو أول وهلة من الفاظ الاضداد ولكنها تبين أخلاق العرب عامة والرسول صلى الله عليه وسلم خاصة في اختياره اللفظ الذي يدخل السرور الى نفس الحزين اليائس ، فالذي اثقلته الديون ولم يجد سبيلا الى قضائها اوجب الرسول صلى الله عليه وسلم قضاء دينه من بيت المال وسماه (المفرح) اي الذي يجب ان يدخل الفرح الى نفسه بدلا من اطلاق الصفة الحقيقية له وهي (اليائس والحزين) فجاءت الكلمة ضدا للمعنى الاول على الظاهر .

وقد اعتبر الخفاجي هذا الضرب من الالفاظ التي يعدل عنها الى ما يخالفها من باب حسن الكناية، واعتبره شرطا من شروط الفصاحة (39)

ونجد في الاخبار والنوادر حكايات طريفة في حسن التخلص والكنايات الجميلة ، من ذلك ما يحكى من ان رجلا مر في صحن دار الرشيد ، ومعه حزمة خيزران فقال الرشيد للفضل بن الربيع ما ذاك ؟ فقال اعروق الرماح يا امير المؤمنين ، وكره ان يقول الخيزران لموافقته اسم والدة الرشيد (40) .

ومن حسن التخلص مما قد يتشاءم منه ما ذكر من ان المنصور بلغه خبر خروج محمد بن ابراهيم بن عبد الله بن الحسن بالبصرة وهو في بستان له ببغداد فنظر الى شجرة فقال للربيع : ما اسم هذه الشجرة؟ فقال : طاعة يا امير المؤمنين ، وكانت خلافا فتفاءل المنصور بذلك ، واعجب من ذكائه (41) . وواضح انه عدل عن لفظ الخلاف — وهو اسم الشجرة التي

---

34) بلوغ الارب 338/2
35) تاج العروس مادة برش وقد تاول بعضهم لفظة البصير ايضا فراى انها من قوة البصيرة او ان المقصود بالحديث النبوي هو البصير المؤمن.
36) النهاية في غريب الحديث لابن الاثير 188/3 .
37) الاضداد في اللغة لابن الانباري 197
38) سر الفصاحة : 157
39) الكنايات : 53
40) ن.م.

سئل عنها ـ الى الطاعة لما يقترن في الذهن من اشتقاق لفظي لمعنى الخلاف مثل الذي مر بنا اول البحث .

ويروي الخفاجي حادثة طريفة تتعلق بالكنايات ـ وان لم تدخل ضمن الفاظ الاضداد ـ ولكنها تعطينا صورة عن ذوق العرب ، ودقتهم في اختيار الالفاظ المناسبة للقول قال : (وخبرني من اثق به عن رجل من اهل بغداد يصنع الغزل من الذهب قال: احضرني الوزير ابو الحسن علي بن عبد العزيز المعروف بابن حاجب النعمان وزير القادر بالله ، واخرج اليّ علما مذهّبا عليه اسم المقتدر بالله قد بلى ، وخلق ، وبقي فيه الذهب فقال لي : كيف السبيل الى اخذ ما على هذا من الذهب فقلت : يحرق ، فصاح صيحة عظيمة وقال : ويلك ! ما هذا التهجم ؟ احرق اعلام امير المؤمنين ! وامر باخراجي ، فدفعت وقد قاربت التلف من هيبته ، والخوف منه ، وتعقبني اهل المجلس بالسؤال في بسط عذري بعدم الفهم لما انكره علي ، فامر باعادتي اليه ، وقال : هيه ، ما الذي تقول؟ قلت : ما يرسم سيدنا الوزير ، فقال : قل : يستخلص فقلت : يستخلص ، فقال : خذه ، وانصرف . فاخذت العلم ومضيت فاحرقته ، واحضرت له ما خرج فيه من الذهب (42) .

ومما يدخل ضمن هذه المجموعات الثلاث من الالفاظ مجموعة هي في الاصل مسميات لاشياء تؤكل او تلبس او تهدى ، ولكن دلالة الفاظها من حيث اشتقاق بعض الافعال منها جعل بعض مرهفي الاحساس يلبسونها معاني جديدة ، لا علاقة لها بما اطلق عليها ، او لا علاقة لها بمسمياتها . وسوف نحاول ان نستقي هذه الاخبار من كتاب مهم جدا وهو كتاب الموشى او (الظرف والظرفاء) للوشاء والذي يمكن ان يعد كتابا في رسم السلوك الاجتماعي لمجموعة من الناس عرفوا بالظرفاء في زمانهم ، وقد رسم الوشاء لهم طريق الظرف او ما اعتبر في زمانهم مثال الذوق والتادب والظرف سواء في طريقة الجلوس او اللباس او في آداب الاكل والشرب او في التهادي والمجاملة، مما يمكن أن يعم اكثر من تعميم التطير والفال الذي اقترن ببعض الالفاظ ، وسلوك بعض الافراد ، والنفسيات المتشائمة ، اما ما ورد في كتاب الوشاء وغيره يمكن أن يعمم اكثر ليكون ظاهرة تشمل هذه المجموعة من الناس التي كان لها دورها في مجالس الادباء ، وذوي الشان ، وهي المجموعة التي أطلق عليها اسم الظرفاء .

ـ لقد كان هؤلاء الظرفاء مرهفي الاحساس ، حادي الشعور ، يتسم سلوكهم بالادب والمجاملة ، والذوق الراقي في كلامهم مع مجالسهم ، او في مخاطباتهم ومهاراتهم مع من يحبون ، وكانوا ادباء وشعراء او ندماء اعتادوا مجالسة الادباء والشعراء وذوي الشان .

فقد كرهوا تهادي **الشقائق** وهو ضرب من الورود معروف لانهم نظروا الى الحروف التي يتكون منها هذا الاسم فوجدوا ان الثلاثة الاولى منها يمكن ان تشكل لفظ **الشقاء** او الشقا ، كما انه يمكن تركيب لفظ الشقاق ـ وهو اكثر ما يخافه المحبون ـ ولم يشفع لهذا اللفظ كونه دالا على الورود الحمراء التي تذكر بخدود الحبيبة كما هو شانهم مع التفاح وتهاديه . يقول الشاعر :

لا تراني طوال دهري اهوى الشقائقا
ان يكن يشبه الخدو د فنصف اسمه شقا (43)

واما السفرجل فانهم اشتقوا من لفظه كلمة السفر مما يوحي الى نفوسهم بالقطيعة والبعد لذا كرهوا تهاديه ، وتشاءموا منه . يقول الشاعر ، وقد اهداه بعضهم سفرجلا فرفضه قائلا :

اهديت اليه سفرجلا فتطيرا
منه وظل متيّما مستعبرا
خاف الفراق لان أول اسمه
سفر فحقّ له بان يتطيرا (44)

واشتقوا من لفظ (**السوسن**) كلمة السوء ، لذا اعتبر بعض الشعراء اهداء السوسن نذير سوء ، واشارة شرّ :

---

41) سر الصناعة 157
42) الموشى 173
43) الموشى : 170 ـ

سوسنة اعطيتنيها وما
كنت باعطائكها محسنة
شطر اسمها سوء فان جئت بالـ
آخر منها فهو سوء سنة (45)

واما النمام فانهم كرهوه ، لانه يذكرهم بالنمام والواشي الذي يمكر صفو المحبين ، وقد تغافلوا عن سر تسميته بالنمام ، وانه ما سمي به الا لان رائحته تضوع وتنبىء عنه وتغافل الظرفاء عن رائحته الزكية وبقي لفظ النمية مسيطرا على اذهانهم فكرهوا تهاديه . يقول الشاعر :

حييتها بتحية في مجلس
بقضيب نمام من الريحان
فتطيّرت منه وقالت اقصه
لا تقربنّ مضيّع الكتمان (46)

وقد تطير بعض الظرفاء من هدية الخاتم ، وزعموا انه يدعو الى القطيعة ، وتهاداه آخرون ، واتاموه مقام التذكرة . فاما الذين تطيروا منه فلانهم فهموا لفظة الخاتمة ـ خاتمة الحب ـ وتاولوها من اهداء الخاتم يقول الشاعر :

وما كان هذا الهجر من طول غصة
ولكن بعض المزح للمرء قاتل
فرحت لحيني مرة بخواتم
لاخذه حلت علي النوازل (47)

وينشدون ايضا لشاعر كان يهزأ من قول الظرفاء باقتران الخواتيم بنهاية المودة والمحبة .

ولكن حين اهدي اليه الخاتم وافقهم على رايهم :

اني فرحت لم اعلم بخاتمه
فكان منه ابتداء الهجر والغضب
قد كنت ما قال اهل الظرف انكره
وكان قولهم عندي من اللعب

ان الخواتيم منها قطع وصلكم
فقلت هذا لعمري غاية الكذب
حتى ابتليت فكان الحق قولهم
أخذ الخواتيم فيه اكثر العطب (48)

ويذكر الوشاء سبب كراهيتهم لتهادي الخواتيم بانها اذا فقدت كانت باعث غيرة ودافع قطيعة ، فاما من يتلقاها بالقبول والحفظ فهو آمن من المجانبة مستريح من المعاتبة (49) .

ومن هنا وجدنا من قبل تهادي الخواتيم انهم ابتعدوا عن المعنى الاشتقاقي للفظ ، وابقوا له الدلالة الاصلية لاسمه :

يقول اناس في الخواتيم انها
تقطع اسباب الهوى واقول
بان خواتيم الملاح وصولة
وخاتم من تهوى الملاح وصول (50)

وهناك طريفة تدرج في باب اشتقاق الفاظ وعبارات من بعض المسميات وهي ان رجلا راى في يد امراة كانت تأتيه خاتم ذهب فقال لها : ادفعي لي خاتمك اذكرك به ، فقالت : انه ذهب واخاف ان تذهب ، ولكن خذ هذا العود لعلك تعود (51) . وهذا الخبر وان كان من باب الطرائف الا انه مبني على علاقة بعض المسميات والالفاظ بالاشتقاقات الممكنة فالذهب اسم لمسمى معروف ، ولكن يمكن ان يشتق منه لفظ الذهاب ، وما فيه من بعد ، وكذا العود يمكن ان يشتق من لفظه كلمة لا علاقة لها بالتسمية ذاتها وهي العودة فيقترن بالفرحة تيمنا برجوع من يحبون .

واذا كان الظرفاء قد اشتقوا من هذه الالفاظ والمسميات ما يفهم منه القطيعة او اليأس فانهم احبوا بعض الاشياء ، وتنافسوا في تهاديها لما تحمله الفاظها من احتمال اشتقاق يفهم منه معنى المودة والدوام والمحبة ... الخ وقد تكون هذه الاشتقاقات اقرب الى باب الجناس المعروف بالبلاغة .

لقد مر بنا نفورهم من تهادي الشقائق لدلالة لفظ الشقاء الذي يشتقونه منها ـ ولكنهم احبوا النفسج

---

44) ن.م. 173
45) ن.م. 174
46) ن.م. 165
47) الوشي : 165
48) ن.م. 169
49) ن.م. 166
50) عيون الاخبار 202/2

ـ وهو نوع من الورد ايضا ـ لان من يهدى اليه يستطيع ان يركب فى ذهنه لفظة تدل على المودة كقول الشاعر وقد اهدت اليه احداهن بنفسجا فارتاح له لانه فهم منه بانها تفديه بنفسها فجانس بين البنفسج والنفس :

اهدت اليه بنفسجا يسليه
تنبيه ان بنفسها تفديه
فارتاح بعد صبابة وكآبة
ورجا لحسن الظن ان تدنيه (52)

واسم الرمان من الجناس اللطيف المشتق من نفس اللفظ وقد تفاطوا به حين اشتقوا منه كلمة آن اي قرب وحل (الوصال) ومن حرفه الاول والثانى لفظة رمّ يرمّ فنهم منها بان حبل المودة سيجمع ويرم :

اهدت اليه بظرفها رمانا
تنبيه ان وصالها قد آنا
قال الفتى لما رآه تفاؤلا
وصل يكون متمما احيانا
رم يرم تشعثى بوصالها
لقد التفاؤل صادقا كانا (53)

ومن الجناس اللفظى الذي تفاطوا به لان دلالته اقترنت بالذهن بمعان تنسجم مع ما يتمنون لفظة النبق، لانهم جانسوا بينها وبين لفظة نبقى التى يمكن ان تشتق منها . وقد روى الثعالبى بان بعض الشعراء اهدى صديقا له نبقا وكتب له :

تفاءلت بان تبقى
فاهديت لك القبقا
تلبثك الله الخلق
ما سرك ان تبقى
واشقى الله ثانيك
وحاشاك بان تشقى (54)

واذا كان بعض الشعراء قد كره تهادي الآس ، لانه اشتق منه لفظ الأسى (55) فان جماعة اخرى تفاطت من تهاديه ، لانها اشتقت منه لفظ المواساة اضافة الى نظرة موضوعية لطيفة لهذا النبت وهى انه من النباتات التى تدوم مدة طويلة محافظة على خضرتها ورونقها . يقول احدهم مشتقا من لفظ الآس المواساة ـ مع اقراره ضمنا ما يمكن ان يوحيه لفظه من اقترانه باليأس:

ما احسن الآس فى عيني واطيبه
لولا اتصال حروف الآس باليأس
ما ضر من كان اهدى الآس من يده
لو قال ريحانة يعنى بها الآس
لولا الذي انتقي من طيرتي بهما
ما فارقا ابدا تاجا على راسى (56)

وللوزير ابى عامر بن سلمة الاندلسى فى جملة من النوادر :

والآس آس كاسمه
بنوره قد حسنا

وله ايضا فى هدية الآس :

يا واحد الادباء والشعراء
وابن الكرام السادة النجباء
انى بعثت مطيبا نمقته
من روض داري دارك الغناء
من آسيه لا زلت تاسو عاطرا
وتبيد ما يعدو من الاعداء (57)

ولابى جعفر بن الابار فى الآس

وآس كاسمه آس
تتيه به على الزمن التشيب (58)

---

51) الموشى 177
52) ن.م. 176
53) احسن ما سمعت / 182 ، وانظر الموشى : 77
54) قال ابو حنيفة : الآس بارض العرب كثير ينبت فى السهل والجبل خضرته دائمة ابدا . وقال ابن دريد : الآس هذا المشموم احسبه دخيلا غير ان العرب قد تكلمت به .
وجاء فى الشعر الفصيح كقول الهذلى (يمشمخر به الظيان والآس) . لسان العرب مادة آس .
55) الموشى : 180
56) البديع فى وصف الربيع : 39
57) ن.م. 87

والحديث عن الآس ودلالة لفظه يذكرنا بحديثهم عن الورود وكيف ان بعضهم كره تهاديها لانها ترمز الى قصر عمر المودة لقلة لبثها وقصر عمرها وفضل عليها الآس لدوام خضرته ، واستمرارها طول العام . قال بعض الشعراء وقد اهدت اليه جارية آسا :

والآس يبقى وان طال الزمان به
والورد يفنى ولا يبقى على الزمن

ثم اهدت له وردا فتطير منه وقال :

انت ورد وبقاء الو
رد شهر لا شهنور
يذهب الورد ويفنى
والى الآس نصير

فكتب اليه بعض اخوانه فى هذا :

سر بالآس الذي اهدت له
ثم لما اهدت الورد جزع
ذاك ان الآس باق دائما
ولان الورد حينا ينقطع (59)

واذا كانت المفاضلة بين الورد والآس هى احدى سمات الشرف وغضارة العيش فى العصر العباسى فانها ايضا مما علق بذاكرة الفرس — اذا صح ما تاله الجاحظ من انهم يحبون الآس ، ويكرهون الورد، لان الورد لا يدوم والآس يدوم (60) .

ويهمنا من هذه المفاضلة الطريفة ما اشتقه بعضهم من لفظ الورد من تعبير مقترن بمعنى يدخل السرور الى نفسه مفرح بتهاديه الورد دون النظر الى طبيعته وكون لبثه قصيرا لانه اشتق منه لفظ الورود :

اهدى له وردا فاخبر انه
فى الواردين ولم يكن ورادا
فارتاح من فرح بطيب وفوده
وغدا له ورد الحياء فزادا (61)

ونجد فى رسالة لابى عثمان سعيد بن فرج الجيانى فى الرد على ابن الرومى فى تفضيله البهار على الورد اشتقاق كلمتى الود والرد من الورد اما النرجس فآخره رجس ، ولا يهمه بعد ذلك ان كان الورد قليل اللبث او طويله لان خيار الخلق فى الدنيا هم الفانون :

اسم الذي فضلت ان فتشته
وخرمت اوله فرجس راكد
والورد كيف خرمته وخبنته
ود تود به ورد عائد
ودع البقاء فما ترى من جملة
الا وافضلها يكون البائد
يفنى خيار الخلق فى الدنيا وما
شىء سوى ابليس فيها خالد (62)

واخيرا نقول بان الطائفة الاخيرة من الالفاظ التى ذكرنا بانها تترك اثرا فى الاذهان لما توحيه من دلالة معينة مرتبطة باحدى اشتقاقاتها تمثل موقفا خاصا بالادباء والشعراء ، او فلنقل فى مجالس المترفين الذين اتخذوا من ابسط وسائل الترف — وهى الهدايا — مادة طريفة للحديث والمؤانسة ، وان عكست لنا من جانب آخر المثل السلوكية لهذه الطائفة من الناس المسماة بالظرفاء . وتبقى الظاهرة اللغوية العامة فى اقتران بعض الالفاظ بمعان بعيدة عن اصل مسمياتها لان فى بعض اشتقاقاتها معان تنسجم مع نفسية المتكلم شرا او خيرا ، وتصبغ بالتالى تفكيرهم وهواجسهم او سلوكهم الاجتماعي تبعا لطبيعة المواقف ومدى رهافة احساس بعض الناس اكثر من غيرهم .

---

58) الموشى : 180
59) الحيوان 458/3 وانظر البيان والتبيين 247/3 فى استعمال الريحان للتظرف
60) الموشى : 177
61) البديع فى وصف الربيع : 70

قائمة المصادر والمراجع

احسن ما سمعت

الثعالبي / ابن منصور عبد الملك (429 هـ)
تصحيح محمد افندي صادق . القاهرة ، مطبعة الجمهور 1324 هـ .

الاضـــداد

الاصمعـي ، عبد الملك بن قريب (ت 196 هـ)
تحقيق اوغست هفنر . بيروت ، المطبعـة الكاثوليكية 1922

الاضـــداد

السجستانـي ، ابو حاتم سهل بن محمد (255 هـ)

تحقيق د. أوغست هفنر . بيروت ، المطبعـة الكاثوليكية 1922 .

الاضـــداد في اللغة

ابو بكر بن الانباري محمد بن القاسم 322 هـ

تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . الكويت 1960

البديع في وصف الربيع

الحميري ، ابو الوليد ، اسماعيل بن عـامر الحميري — 440 هـ

تحقيق هنري بيريس 1940 م — 1359 هـ

بلوغ الارب في معرفة احوال العرب

الالوسي، محمـد شكـري
تحقيق محمد بهجت الاثري . مطابع دار الكتاب العربـي . مصر 1342 هـ

البيـان والتبيين

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ)
تحقيق عبد السلام محـمـد هارون 1948 — 1950 ، والطبعة الثانية في سنـة 1960 ، 1961 مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر.

تاج العروس من جواهر القاموس

الزبيدي ، محيى الدين ، ابو الفيض مرتضـى الحسينـي (1205 هـ)
المطبعة الخيرية ، جمالية مصر 1306 .

التعابير القرآنية والبيئة العربية

ابتسام مرهون الصفار
النجف ، مطبعة الاداب 1968 .

الحماسة

ابن الشجري، ضياء الدين، هبة الله بن علي بن محمـد (542 هـ)

مطبعة دائرة المعارف العثمانية . حيدر آبادـ الدكـن 1345 .

الحماسة البصرية

البصري ، صدر الدين بن ابـي الفرج بـن الحسن (659 هـ)
تصحيح مختار الدين أحمد ، مطبعـة دائـرة المعارف العثمانية . حيدر آباد الدكن 1964

الحـيـوان

الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر (255 هـ)
تحقيق عبد السلام محمد هـارون ، مطبعـة مصطفـى البابي الحلبي 1945/1938 .

ديـــوان جميل (بثينة)

جمع وتحقيق د. حسين محمد نصار
القاهرة ، مكتبة مصر

ديوان الحطيئة

شـرح ابن السكيت والسكري ، والسجستانـــى
تحقيق نعمان امين طه ، مصر ، مطبعة مصطفى البابـــى الحلبـــى

ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات

تحقيق محمد يوسف نجم
بيروت ، دار صادر 1958

زهـــر الاداب

الحصرى ، ابو اسحاق ابراهيم بن على (451 هـ)

تحقيق محمد محيى الدين عبد الحميد ، وشرح زكى مبارك . مصر، مطبعة السعادة 1903

الزينة فى الكلمات العربية الاسلامية

الرازي ، ابو حاتم احمد بن حمدان (ت 322 هـ)
تحقيق محمد حسين بن فيض الله الهمدانـــى،
القاهرة ، دار الكتاب العربـــى 1957

سر الفصاحـــة

الخفاجـــى ، ابن سنان ، ابو عـــبـــد الله بن محمد بن سعيد 464 هـ

تحقيق على نودة ، المطبعة الرحمانية مصـــر 1932

شعر ذي الرمة

تحقيق كارليل هنـــري هيس مكارثـــى
ليدن 1919 م / 1337 هـ

الصاحبـــى فى فقه اللغة

ابن فارس ، أبو الحسين احمد (395 هـ)
القاهرة ، مطبعة المؤيد 1328 هـ

الصـــحـــاح

الجوهري ، اسماعيل بن حماد (393 هـ)
تحقيق احمد عبد الغفور عطار ، مصـــر دار الكتاب العربـــى 1956 م / 1957 م

عيون الاخبـــار

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (276هـ)
القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية 1925 .

الكنايـــات

الجرجانـــى ، ابو العباس احمد بن محمد ـــ 482 هـ

لســـان العـــرب

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم (711 هـ)
بولاق ، المطبعة الاميرية 1301 هـ

المزهر فى علوم اللغة

السيوطى ، جلال الدين عبد الرحمن (ت 911 هـ)
تحقيق محمد حمد جاد المولى ، محمد ابو الفضل ابراهيم ـــ القاهرة ، دار احياء الكتب العربية.

المعانـــى الكبيـــر

ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم (276 هـ)
حيدر آباد الدكن 1949 .

الموشـــى او الظرف والظرفاء

الوشاء ، ابو الطيب محمد بن اسماعيل 325 هـ
تحقيق كمال مصطفى ـــ الطبعة الثانية 1953م /1372 هـ

نثارالازهار فى الليل والنهار

ابن منظور ، جمال الدين محمد بن مكرم 711 هـ

النهاية فى غريب الحديث

ابن الاثير ، ضياء الدين ابو الفتح نصر اللـــه بن محمد 637 هـ

مشاكل ومعوقات التعريب (*)

الدكتور محمود محمد الحبيب
أستاذ بكلية الادارة والاقتصاد
جامعة البصرة - العراق

يواجه التعريب — وخاصة التعريب لاغراض التعليم العالى على صعيد الوطن العربى — مشاكل ومعوقات لا يمكن الاستهانة بها او هز الكتفين امامها بدون مبالاة ، اذ انه يتوقف على مبلغ حصرها وتذليلها وازاحتها عن طريق التعريب ضمان لنجاح العملية فى مرحلتها الاولى ، وأقصد المضى فى مخططات التعريب مرحلياً ، فالمسالة ليست اكداسا من كتب تُطرح ، وقوائم مصطلحات فى شتى التخصصات تُقدَّم وتُنجز، ونتنفس الصعداء . إن العلم فى تقدم مستمر ، والمصطلحات تتوالد بسرعة إلينا ، أو إنّا علينا أن نسرع اليها وأن نستوردها بمختلف الوسائل والترتيبات والاتفاقيات العلمية والثقافية والتجارية . وعليه فمهمة التعريب عملية متواصلة وشاقة ومستمرة مع الحياة المتحركة . . . ولعل الجانب الأشق فى عملية التعريب هو التنفيذ الدؤوب من جهة ، وتعميم المنجزات من جهة اخرى لتجد المصطلحات وغيرها سبيلها الى دنيا الجامعات والمؤسسات والقطاعات الانتاجية والخدمية.

عندما نتحدث عن التعريب فليس معنى ذلك اننا ننشد البديل للغتنا ، بل معناه اقتناص المتمم والمساعد لبعض جوانب القصور فى العربية . ان واجبنا الرئيسى ومسؤوليتنا التاريخية « تأصيل لغتنا العربية » فى جميع المستويات العلمية التخصصية الثقافية والفنية والتعليمية والادبية ، محلياً ،وقطرياً، وقوميا ، بل دولياً . إن قضية « تأصيل » العلوم والتقنية بدورها لا تكون الا بلغتنا القومية . وكما قال عاقل فإن أي خطر يهدد اللغة هو خطر يهدد شخصية الأمة واستمراريتها وارتباط اجيالها . . وفى رايى فان « التبعية الثقافية » كطغيان اللغة الفرنسية او الانكليزية فى منطقتين كالمغرب العربى من جهة والقارة الهندية من جهة اخرى قضية كانت ولم تزل اعتى وامرّ واشدّ فتكاً من الاستعمارين السياسى

(*) القسم الثالث من بحث بعنوان « عملية التعريب : الاساليب والمشاكل والحلول » مقدم الى مؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى المنعقد فى آذار 1978 فى بغداد .

والاقتصادي لأنها هدفت الى مسخ وتشويه المواطن من الداخل .. وهكذا كان هذا اللون من التبعيات من اخطر الالوان المقيتة التي منيت بها دول العالم الثالث .

انى ، اذن ، لا اتكلم عن بديل ، ولكن عن « انفتاح » على المعارف والعلوم والحضارة الانسانية، لان الانفتاح ضرورة ليس لها ثمة بديل ، بل ان اسقاطها يعني الجمود والتخلف وبالتالي الوقوع ثانية فى مصيدة التبعية الاقتصادية والتبعية السياسية. والانفتاح يتخذ جسرين لا حبين هما الترجمة والتعريب. وهما خطان تستخدمهما دول كبرى كالاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة واليابان .. الخ

لا مراء ان العربية تعثرت جدا امام التطور الهائل فى العلم والتكنولوجيا ، أسوة بكثير من اللغات العالمية . ونحن نفتقد المصادر العلمية العربية الكاملة فى شتى التخصصات والمعارف لاغراض التدريس الجامعي من جهة ، ولان المصطلحات المتداولة فى كتبنا تتضارب وفق اهواء المترجمين والمعربين والمؤلفين والباحثين ، فلا ندري ايها الصحيح . ويزيد الطين بلة عدم توحيد المناهج الدراسية بين الكليات والاقسام فى القطر الواحد ، ناهيك القول بين الجامعات العربية من المحيط الى الخليج . ويضيف الباحثون مشكلة صعوبة اللغة العربية نفسها من زوايا القواعد والكتابة والاملاء ، وعدم اهتمام العرب بنشر لغتهم فى الدول الاسلامية غير العربية. والشق الاخير من العتب او الدعوة قضية صعبة ، فمهمتنا المباشرة إرساء العربية فى مغربنا العربي .. واذا نجحنا فى اكتساح الفرنسية من مدارسه وجامعاته ودواوينه واحيائه ، فربما التقطنا الانفاس للتجربة الاعم : عالم المسلمين ..لنحاول فى هذا القسم من البحث القاء بعض الاضواء على مشاكل ومعوقات التعريب ، التعريب الذي ننشده لرفد العربية علميا لتواكب الطفرة التقنية والعلمية .

● **نماذج من مشاكل التعريب**

1) لن ادعي انى رائد فى كشف المجهول ، بل انى اعود الى اساتيذي الباحثين ، مضافا الى ذلك خبرتي فى التعليم الجامعي على امتداد ثماني عشرة سنة . ومن ناحية اخرى فكلنا يستطيع وضع قائمة قصيرة او مطولة بمشاكل التعريب ومعوقاته ، ولن اعجب اذا اتفقت التسميات والتشخيصات فى حدود سبعين بالمائة منها ... وفى استفتاء قام به مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربي (الرباط) وتحت عنوان :

« صلاحية اللغة العربية للتعليم الجامعي » فقد خلص الى فرز مشاكل رئيسة هى : (1)

- تخلف الدول العربية العلمي والحضاري .
- صعوبة اللغة العربية من حيث القواعد والكتابة
- اهمال الدول العربية نشر اللغة فى الخارج وخاصة فى الدول الاسلامية غير العربية .
- وجود لهجات اقليمية مختلفة تضايق الفصحى .
- انعدام الطرق والوسائل الصالحة لتعليم اللغة العربية للابناء .
- عدم تشجيع الابتكار العلمي والتاليف باللغة العربية فى مختلف فروع العلم .
- عدم تحقيق الوحدة الثقافية بتوحيد المناهج والكتب الدراسية وايجاد مجمع عربي لغوي وعلمي موحد .
- التيارات الاستعمارية المضادة لتعليم اللغة العربية .

ومع هذا فقد وجد المكتبُ ان غالبية الذين اجابوا على الاستفتاء اتفقوا على ان العربية صالحة لتدريس العلوم الانسانية فى التعليم الجامعي العالي ، وصالحة ايضا بالنسبة للعلوم الحديثة البحتة والتطبيقية ، شريطة ان تدعم بلغة اجنبية فى التدريس .

وتتفجر المشكلة ، مشكلة العلوم — هندسة ، طب ، صيدلة ، رياضيات ، فيزياء ، كيمياء ، حياتية، فلسجة ... الخ — فى احضان السادة اعضاء الهيئة التدريسية فى جامعاتنا فى محاضراتهم ومناقشاتهم ومخابرهم التطبيقية والامتحانات وابحاثهم النظرية والعملية ، وما يصدق على القطر العراقي ينسحب على اقطار اخرى فى وطننا الكبير . وتتميز جامعاتنا فى المغرب العربي بعمق المشكلة وضخامتها اذا تذكرنا ان اللغة الفرنسية لا تزال مستاسدة فى الحياة العامة والكثير من اجهزة الدولة والمدارس والجامعات الا ما ندر ، ولو ان خطوات جبارة لنشر العربية قد اتخذت وقطعت شوطاً مرحلياً جيداً .

2) يعاني الاساتذة الجامعيون من مشاكل طويلة ومتفرعة كثيرة يمكن تكثيف اهمها كنماذج تتطلب الحل السريع (2) يشكو الاساتذة قلة المراجع العلمية والكتب الدراسية العربية فى كثير من الموضوعات العلمية والمواد التي تدرس فى الكليات العلمية وفى مقدمتها ، الكتب الطبية والصيدلانية والهندسية والكيمياوية والفيزيائية

والرياضيات العالية .. الخ. ويعانون من نقص في المصطلحات العلمية المعربة ، وان وجدت فليس ثمة اتفاق على مصطلح موحد . ويصدق هذا على مصطلحات تقنية ايضا ، ويشخص هؤلاء ظاهرة مستشرية هي التباين في طبيعة المصطلحات في الدول العربية بشكل اشبه بفوضى دائمة .. ويعتبون ايضا على تقصير الكثير من الجامعات في ميدان التخصص العلمي الدقيق ، فغالبيتها اصبحت كمصانع الانتاج الكبير تهدف الى تخريج جموع ضخمة ضعيفة المستوى . وقد عمق هذا الجانب انعدام التعاون بين الجامعات العربية ، وبين الجامعات في داخل القطر نفسه على اختيار المناهج والمواد الدراسية وتوحيد المفردات وتطويرها الدائم، والاتفاق على الكتب الدراسية والمراجع - وظاهرة اخرى اصبحت مستشرية ، هي ضعف وجهل غالبية الاساتذة (خاصة في الكليات العلمية) بلغتهم العربية نحوًا وصرفًا واملاءً .

3) لما كان المصطلح العلمي (وهو قضية تشكل قلب مشكلة التعريب ولهذا أفرد لها مؤتمرنا الحالي ثلاثة موضوعات مستقلة) (3) يشكل عقبة ، فماذا تنجر العقبة بدورها من مشاكل ؟

اذا كان اساتذة العلوم الصرفة والتطبيقية والتقنية والطبية يحسون بضخامة الصعوبات التي يواجهونها يوميا في ايجاد مصطلحات علمية موحدة ، وانتقاء اخرى جديدة مواكبة لما يستجد امامهم باستمرار ، فهذا احساس مفهوم وشكوى نفهمها ايضا .. ولكن الادهى ان عين الشكوى بتنا نسمعها من الكثير من اساتذة العلوم الاجتماعية والانسانية . وهذا زميل باحث عالج قضية اللغة العربية ومدى طواعيتها للعلوم الاقتصادية سيما بعد ان زحف هذا العلم ليستوعب لغة الاحصاء والرياضيات القياسية والنماذج ، فيؤكد لنا على أن من أخطر المشاكل التي تعترض الباحث العربي في ميادين العلوم الاجتماعية هي ما اسماه القدرة على الاستيعاب والتعبير بالالفاظ والمصطلحات العربية .

وعندما نُصاب بالدهشة لقول كهذا فان الدكتور ابراهيم أبـاظه يوضح مثلا بان « علم الاقتصاد (4) يعتبر من أسرع علوم العصر تطورا ، واكثرها استخداما لمصطلحات فنية متزايدة ليس فيصميمه فقط ، بل اخرى نقلت اليه من علوم ثانية كعلم الاحياء والرياضيات والكهرباء والميكانيك .. ان وجه الصعوبة يتبلور في ان هذه القضايا قد ذللت في الغرب عن طريق تنشيط حركة الابتكار والتخصيص والاستعارة في اللغة بالنسبة للمصطلحات الفنية ، وتم توحيدها بين أبناء اللغة الواحدة وحتى بين أبناء اللغات المتعددة كالناطقين بالفرنسية او الانكليزية » . اما عندنا في الوطن العربي فليس ثمة تطور في هذا السبيل . ويقول « ظل الاقتصاديون على حالهم قانعين بالاجتهادات الشخصية ، او مكتفين بترديد المصطلحات الاجنبية كما وردت في لغاتها الاصلية . كما ظلت المحافل اللغوية بعيدة عن التصدي لهذه القضية الحيوية » (5)

وكاقتصادي،مهنيا ، فانني اقر وأعترف بان شكوى اباظه صادقة وعميقة فالاقتصاديون في حيرة ومتاهة ، ولا يزالون يركضون وراء المصطلحات غير الموحدةويعملون بوحي من اجتهاد شخصي (6) .

وينطلق صوت متفائل للدكتور شكري فيصل ويبني حكمه على واقع معاش وتجربة يراها قد نجحت ليس بالنسبة للعلوم الاجتماعية والانسانية وحسب ، بل ايضا في جميع العلوم الصرفة ومنها الطب . وحديثه يتناول تجربة الجامعات السورية التي استكملت فروع المعرفة العلمية كلها اذ يمضي تدريسها باللغة العربية في جميع المراحل الدراسية بما فيها الجامعية وفي كل المواد ، وفي مرحلة التاليف ومرحلة الابداع والبحث العلمي ، ويتهم المتقولين بعقم اللغة وقصورها في هذه المجالات ، ويصف زعمهم بانه « حلقة في سلسلة من مظاهر الغزو الفكري هدفها التشكيك والتخويف والشلل»(7)

وحول مشكلة التعريب تحدث الدكتور جيرار تروبو ، المستشرق الفرنسي ، في اسبوع الصداقة الفرنسية ـ الاسلامية في باريس (كانون الاول / ديسمبر 1977) مؤكدا على ان العربية كانت لغة العلوم بجدارة في العصور الوسطى ، ونقلت الى العالم الغربي خلاصة الحضارة الانسانية وبواسطتها تعرف العالم على علوم الفلسفة والطب والفلك والرياضيات والهندسة وغيرها من العلوم ، ثم تعثرت بعد

هجمات المغول ، الى ان جاءت الثورة الصناعية في عصور النهضة الحديثة وأصبحت هذه اللغة امام آلاف من المصطلحات التي لم تعرفها من قبل . وأصبح العرب امام خيارين : اما استعارة المصطلح الاجنبي بلفظه ، واما ايجاد لفظة عربية من داخل اللغة نفسها .. ثم يطرح المستشرق سؤالا : هل يمكن للعربية ان تخلق الفاظا عربية لكل هذه المصطلحات الاجنبية ؟ انه يجيب ، وهو العارف اذ يلقب في فرنسا بلقب سيبويه الاستشراق ، نعم .. يمكنها ذلك، وبواسطة **الاشتقاق** ، هذه الخاصية المهمة التي تتميز بها اللغة العربية (8).

وعلى عين الخط دعا المهندس حتي اذ قال : لدينا سلاحان مهمان لوضع المصطلحات لاغراض التعريب وهما : تاثير الحركات ، ثم الاوزان ودقتها في اللغة .(9)

وأعود الى البروفسور تروبو ... لقد أبان في محاضرته في باريس ان العربية تاقلمت دائما مع العلوم في تاريخها الطويل.. تاقلمت مع اليونانية ومع السريانية . ويقول الباحثان جيمس بيطار وحبيب سلوم ان العربية امدت اللغة الانكليزية بتسعمائة وسبعة وثلاثين مصطلحا علميا لا تزال مستخدمة في صميم تلك اللغة (10) . وهكذا استطاعت العربية ايجاد مئات من المصطلحات في مئات الميادين ، ومن داخلها ، وبرهنت على قدرة الابداع التي تتحلى بها .

ان المشكلة ، كما يرى تروبو وغيره ، قد حلت في الماضي ، فلماذا لا تحل اليوم ؟

ثمة تخوّف يبديه باحثٌ عندما يطرح المشكلة بشكل محسوس ومستقى من الواقع . ان تخوف الدكتور خليفة ناجم عن ظهور وانتشار ما دعاه بـ « عدة لغات علمية عربية » .

ويشرح كالتالي : وضعت منظمة اليونسكو كتابا في الرياضيات الحديثة للعالم العربي بلغة اجنبية ، ثم تُرجم الكتابُ ولكنه جاء بخمس ترجمات او لغات علمية عربية حتى الآن ، فهناك الترجمة المصرية ، والترجمة العراقية والترجمة السورية ، والترجمة الاردنية ، والترجمة الكويتية . وكل ترجمة تستعمل رموزا ومصطلحات تختلف عن ما استعملته الترجمات الاخرى ، بحجة أن اجتهادها هو الصائب بنظرها (11) . علاوة على ما مر ، فكلنا يعلم ان المشكلات التي تواجه العربية والتي تتطلب دراسة جادة تمتد الى امور اخرى لعل في مقدمتها :

1 ــ مشكلة نحو اللغة وصرفها

2 ــ مشكلة المصطلحات العلمية في مختلف التخصصات .

3 ــ مشكلة رقم اللغة او الاملاء

4 ــ مشكلة معاجم اللغة وآدابها ..

هذه مجرد نماذج ساقها الباحث ، ويمكننا ان نضيف الى القائمة في ضوء استنتاجات نستلها من واقع التعليم الجامعي وحركة التاليف والترجمة ومتاعب اعداد البحوث الصرفية والتطبيقية ... الخ

● فوضى حادة على جبهة التعريب

خلال سنوات طويلة من البحث الذي قام به المختصون في اللغة والمجامع ، فقد توصلوا الى قناعة هي اننا ، على صعيد الوطن العربي ، نواجه مشكلة رئيسة استطاع السلف البعيد أن يخضعها الى تخطيط عقلاني ، ومنهجية دقيقة ، فتجنبوا مزالقها ومتاعبها .. ويمكن تسمية المشكلة دون مغالاة بـ « فوضى التعريب » وعدم انسيابه بشكل موحد.. ولعل التشخيص الدقيق لأسباب هذه الفوضى ، حسبما أعلم من مطالعاتي ، هو ما وصل اليه مكتب تنسيق التعريب في الوطن العربي (الرباط) وهو (12):

1) تفاوت المقدرة اللغوية بين المعربين تفاوتا بعيدا جدا بحيث ترى الاستاذ القادم من الغرب ممتلئا علما ومعرفة ، وهو يجهل اللغة العربية احيانا لانه صرف كل وقته للعلم لا للغة ، وترى الى جانبه الاستاذ القدير باللغة العربية وهو يجهل العلم الحديث ، بينما المصطلحات العلمية تتوالى على ساحة الفكر العلمي بواقع حوالى خمسين مصطلحا جديدا كل يوم . وكلا هذين الطرفين كان يعمل لوحده ، ونادرا جدا منهم من جمع المعرفتين العلمية واللغوية .

2) اختلاف المؤثر اللغوي الاجنبي في البلاد العربية انتج اختلافا في المفاهيم والنقل والترجمة والتعبير .

3) اختلاف المناهج فى التعبير والتعريب ما بين الجامعات العربية والمجامع اللغوية والاتحادات العلمية والمنظمات . فبعضها يترجم معنى المصطلح ترجمة يرجع فى اختيارها الى المعاجم اللغوية العربية ، او الى الوضع والتوليد ، وبعضها يعرّب المصطلح تعريبا ، اي يبقيه على ما نطق به فى أصل لغته ، مع بعض التحوير ليصاغ على وزن صرفى مقبول فى حدود الامكان .

4) تدفق المقالات الصحفية العلمية والشبيهة بالعلمية ، وفيها الكثير من المصطلحات المستحدثة ارتجلها الصحفيون لعامل السرعة ارتجالا ، فوفق بعضهم وأخفق البعض الآخر ..وقد يظهر للمصطلح الواحد اكثر من ترجمة فى بلدين مختلفين بل وفى صحيفتين من البلد نفسه .. والجماهير تقرا لهذا وذاك ، فتتاثر فئة بهذا ، وفئة بالآخر، وتزداد الشقة اتساعا مع الايام ، وتنمو الاجيال فى هذا الجو الفوضوي ولا تعرف كيف تتفق .

5) فوضى التاليف المدرسى والجامعى حين يصوغ كل مدرس او استاذ مرادفا عربيا للمصطلح يتساوق ومقدرته اللغوية او معرفته العلمية ، فتظهر فى البلد الواحد كتب مختلفة المصطلحات فى مؤلفات بموضوع واحد .

لم تستطع الحكومات العربية السيطرة على فوضى التعريب الا فى وقت متاخر ، وفى ضمن حدود معينة اذ لا يمكن القول انها نجحت كليا فى المهمة . ولم تجنّبه المشكلة السلف بهذا العمق ، اذ يشير جيرار تروبو ، مثلا ، الى ان الماضى تميز بسلطة واحدة مركزها بغداد ، وهذا يعنى ان شخصا واحدا كان يحكم فى عمل الترجمات ، وفى مصيرها ، وكان يؤخذ بها بسهولة تقيدا بتوجيهات القيادة السياسية الحاكمة .. هذا التقيد هو ما ندعوه فى مؤتمرنا بقضية «الالتزام» ومدى انحرافنا عنه فى الاخذ بما تم تعريبه من مصطلحات علمية .

وينتبه المستشرق الى ما سبق ان اشرنا اليه ، فيوضح ان الحاضر قد كشف عن امر مؤسف حقا فان مراكز التعريب كثيرة، ومختلفة الهوية، وهى على كثرتها لا تدفع بالعجلة الى الامام، كما كان يتوقع منها ، بل اخذت كل دولة تعرب على حدة ، وتنشىء مفرداتها وحدها . وهذه المفردات التى لا توافقها عليها الدول الاخرى، اذ تعتبر كل دولة نفسها قيمة على اللغة ، والوحيدة التى تمتلك زمام امورها . والنتيجة ، الى أين ؟

هذه الفوضى الفردية والجماعية والحكومية على ساحة التعريب العلمى فى بلداننا العربية دفعت، فى ضوء ضغط الواقع الموضوعى ، غالبية العلماء والباحثين والمؤلفين والجامعيين العرب ، والذين استخدموا مصطلحات علمية فى كتاباتهم ومحاضراتهم الى اثبات المصطلح الاجنبى أولا ، ثم المصطلح العربى ، لان للجامع اللغوية العلمية الاربعة فى بلداننا العربية قد اخرجت ولا تزال تخرج الكثير من المصطلحات التى لا يتم الاتفاق عليها ما بين الجميع ، فلكل مجمع رايه الخاص! وصيحة تحذير من المستشرق الفرنسى تروبو : « يتوجب على العرب ، وبأسرع وقت أن يوحدوا هذه الترجمات .. وانبههم الى انهم ان لم يفعلوا ذلك ، فان زمام العلوم سيفلت من ايديهم » (13).

● معنى التشخيصات : غياب الالتزام

نستخلص مما قيل ، ومن محتوى التشخيصات السريرية التى قام بها مكتب تنسيق التعريب، آنفة الذكر، ان الاضواء قد سلطت على قضية « المصطلح العلمى» وكيف انها لم تنل الا القليل من جانب « التنفيذ » والكثير الاعم من جانب « عدم الالتزام » رغم العناية المبذولة فى الاعداد ، والدراسات ، والتوصيات ، والقرارات ، اذ ان مهمة مؤتمر التعريب الاول والثانى كانت قضية «توحيد المصطلح العربى» .

إن غياب الالتزام بالمصطلحات العلمية فى الجامعات والمعاهد والمدارس العربية ، وعلى أصعدة المعاجم والمراجع والدراسات ، وفى دنيا التاليف والترجمة ، قد فوّت فرصة ثمينة ، وبدّد الجهود التى بذلها المختصون فى هذه الشؤون.(14) ليست هذه كل الصورة ، فهناك باحثون يرون رأيا آخر ، فالدكتور جميل الملائكة (يمثل صوتا) مثلا يرى ضرورة الابقاء على رموز ، وأرقام ، ومعادلات ، وعدم ترجمتها الى العربية فتبقى على الاصل . وحجته انها اصبحت عالمية كما هى ، او شبه عالمية . ويعتقد ان من المستحسن الابقاء عليها كما هى ، فهى لا تختلف فى لغات كالفرنسية

والانكليزية والالمانية ، ويرمز لها بحروف لاتينية متفق عليها دوليا . (15)

وقد وصف الكاتب ما اثير حول المصطلحات الفنية وضرورة ترجمتها بانها ضجة مفتعلة ، وحجة واهية .. والسبب كما يقول « المصطلحات واللغة وسيلة لا غاية ، والمهم هو الاستعمال .. والعلماء والمتخصصون والمؤلفون والمترجمون هم الذين يصوغون المصطلحات بحسب الحاجة العلمية اليها ». ونحن لا ننكر أن هذا الراي قد يكون صائبا ، ولكن الزميل الفاضل قد قلّل من آثار وعمق فوضى التعريب السائدة وهي أساس المشكلة اذ هل يترك الحبل على الغارب فلكل من اشار اليهم رأيه وتقويمه الخاص في صياغة المصطلح العربي في وقت ننشد فيه توحيد هذه المصطلحات في مختلف التخصصات ؟ ان عمق المشكلة سحيق اذ باعتراف الدكتور الملائكة « ان المتوفر في العربية من المصطلحات العربية في العلوم الحديثة يزيد على 100 الف مصطلح» وهذا دونما ريب اثراء وثروة ، ولكنها تحتاج الى التوحيد والتبويب وسلامة التطبيق بعد اجراء غربلة موضوعية فما كان كل قديم بسهل وصالح ، ولم تكن تكنولوجيا وعلوم الحاضر قد ولدت بعد ، فعالمنا في تبدل .. وآمل ان لا يكون الزميل واقفا موقف المتصلب فنفيه كما لمسنا في الصفحة السابقة التفاتة قوية الى تطبيق متطلبات العصر — الرموز والمعادلات — بقدر غيرته على التراث .

وهناك ، بهذا الصدد ، راي للدكتور محمد عبد اللطيف مطلب فهو يؤمن بانه لا ضير ، ونحن في خضم حركة التعريب ، ان نقول بكلمات مثل « إلكترون وبزتون ، وراديو ، وترانسستر .. الخ » بدون تردد ، فذلك لن يلحق ضررا بالعربية .. كما انه لا يحبذ بعث الحياة بكلمات قديمة محنطة ، فهذا ، في رايه ، تضييق على اللغة العربية وبالتالي اعاقة لتجاوبها مع تطور الحياة (16) .

● نظرة اخرى في عوائق التعريب

التعريب بالمعنى المفهوم هو محاولتنا نقل كلمات او مصطلحات علمية وتقنية .. الخ . الى العربية بعد ان نحورها بشكل يتلاءم والنطق العربي . وفي زخم حركة التعريب الكبرى التي قام بها العرب الاوائل نقد نجحوا على الصعيدين : الترجمة والتعريب . وفي كتب الاعلام العلماء من العرب شواهد ناضجة لكلمات مؤثلة للعربية واصبحت بعد الاستعمال وكانها جزء من نسيج اللغة العربية نفسها.

لقد اطلع السلف في قولهم أسطرلاب للآلة الفلكية المعروفة ، وأسطرونوميا للفلك ، وجيومطريتا للهندسة ، واماطيقا للحساب ، ولم يروا باسا في ذلك . وعملت شعوب اوربية عين الشيء حين نقلت من علوم العرب نُبقت على مصطلحات عربية كما هي ، او حوّرتها قليلا .. وفي وقتنا الحاضر تتم عملية النقل في عين المسار . وتنتقل المعرفة الانسانية كحزمة ضوء .

نخلص الى نتيجة معروفة يؤمن بها عدد ضخم من المختصين والمربين ومسؤولي فلسفات وسياسات التعليم العالي ، هي حتمية انتهاج مخطط للتعريب للحاق بمسيرة الدول المتقدمة والطفرة التكنولوجية. هذا شيء جميل ، ولكنه ينخر في هذه الحتمية ومخططها اكثر من عامل معرقل ، كما سبقت الاشارة الى ذلك .. والتعريب بحد ذاته ليس بدعة جديدة فهو قديم منذ القرن السابع الميلادي في اقطارنا .. اما حديثنا المعاصر عنه فربما يعود الى أواخر القرن التاسع عشر ، ولربما الى العشرينات من هذا القرن اذا راقبنا التيار المتدفق بقوة .. اذن ، فنحن في الحقيقة نتحدث عن مطبّات التعريب ، عن مده وجزره وعن عمق بحيرته .. نتحدث عن عدد صغير او كبير من العوامل التي تشده الى الوراء وتعيق مسيرته الى الامام .

وتعجبني خاطرة لباحث تمنيت لو أنني اهتديت اليها في احدى تجليات الذهن . الخاطرة للدكتور شكري فيصل حين كتب :

« ان تكرار الحديث في الموضوع الواحد ، ومعاودة طرحه وخاصة عندما يكون موضوعا ناضجا هو **أول العوائق** والذي يعترض حركة التعريب ، ويعرّضها لشيء كبير من الجهد المضاع » ويرى أيضا انه من الخير « ان نُبعد حركة التعريب عن القضايا النظرية ، وان نضعها على مسار الوجهة العملية » (17) .

بعبارة اخرى ، ان نقطة البدء الجديد يجب أن تكون من حيث انتهى مؤتمر سابق ، وبالطبع ان المهم أن تكون توصياته منطقية وعلى مستوى المسؤولية العلمية ..وقد قيل ان مؤتمر التعريب الذي عقد في الجزائر في عام 1973 قد عمل بعين هذه الفكرة اذ قد بدأ من نقطة بحث انتهى اليها مؤتمر التعريب السابق ، ثم تحرك عمليا الى اقرار مصطلحات علمية

فى ستة علوم هـى : الفيزياء والكيمياء والحيوان ، والنبـات والجيولوجيـا ، والريـاضيـات فـى التعليم العام . وعند اتمام ذلك اصبح التقدم نحـو تعريب التعليم الجامعـى . وقد لوحظ ان خطوة تعريب التعليم الجامعى لم تنل حظا من الاشادة والجدية ، وقد اعتبرها الدكتور فيصل عقبة من عقبات التعريب وتتمثل فى « فقدان التسلسـل والتتابـع فى الصرح اللغوي » (18) ،وهو محق فى ذلك ما دامت مرحلة تعريب مصطلحات الدراسة قد تمت او لنقل تمّ الجزء الاعظم منها . ولما كان التعليم العالـى لـه خطورته الكبرى فى قضايا التطوير والتنمية بانواعها ، فكل تاجيل وتباطؤ ، وبالتالى انقطاع تسلسل العمل لن يضر أحدًا غير المصلحة العربية . آمل بعد هـذا ، أن يكون مؤتمرنا الحالى « مؤتمر تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى ــ بغداد آذار 1978 » بداية جادة لمرحلة عمل جادة وصعبة ولكنها مثمرة .

اذا لم نذهب الى تفصيلات فى طبيعة العوائق والتسميات فان الباحثين بامكانهم تبويبها تحت صنفين رئيسيين هما : (19).

1) عوائق خارجية قيل فيها إنها ليست جزءا مـن عملية التعريب بل محمولة عليها حملا، وتتلخص فى عائق ضخم ومستعص هو « مدى الالتزام بالتعريب، ومدى الوفاء بهذا الالتزام» والسبب أن قضية الالتزام هى الخطوة الحاسمة نحـو مرحلة التطبيق ، اذ لا تطبيق لاي شكل مـن اشكال التعريب ونتاجاته دونما التزام قطري وقومى به . انه اخراج الجانب النظـري الى صعيـد العمل .

2) عوائق داخلية يفسرها بـاحـث بانها نتيجة لاسقاطات بسبب العوائق الخارجية ، وتتمثل فى أمرين خطيرين :

أ ــ ما دعاه فيصل بـ « تشتّـت الجهـد » والمقصود ، كما اسلفنا فى صفحات سابقـة ، أن التعريب ليس محصورا بجهة معينة بالذات، وانما هناك افراد ، وهيئات رسمية هى المجامع اللغوية والعلمية ، ثم هناك الجماعات ، وكل منها يعمل بما يشبه العمل المستقل .
ما خطورة تشتتٍ كهذا ؟

يجيب الباحث : انها تكمن فى ان التشتت يكون حجة فى أيدي خصوم التعـريب ، ثم تتسرب الحجة الى السنة بعض القائمين على الجامعات العربية . لقد سمع الباحث فى جلسة عامـة مسؤولا جامعيا يقول أثناء الحديث عن التعريب « أعطوني مصطلحا موحدا وأنا ممتن فى ان اشيع استعماله فى جامعاتنا » .

وخطورة أخرى ، يراها الباحث ، وهـى ان المصطلحات المعربة متباينة ومتضاربة على نطاق الوطن العربى ونطاق القطر الواحد ، بل وبين اقسام الكليات فى جامعة واحدة . ولعل التباين فى معاجم الطب برهان لا يحتاج الى ايضاح .

ب ــ عدم الأخذ بالمنهجية فى التعريب ، او عدم وجودها فى بعض مجالات العمـل اذ ان ذلك يضيف الى قضية التشتت زخما فيـه هـدر فاضح للجهود والوقت والاموال .

ما دور المنهجية ؟ نحتاجهـا ، كما يقول ، فى مراحل كثيرة من مراحل التعريب ، مثلا : 1 ــ المواجهة بين اختلاف اللغات الاجنبية نفسهـا حول المصطلح العلمى الواحد اذ كيف ؟ ومـاذا تختار ؟ . 2 ــ حين نواجه الخلاف فى تعريف « السوابق » و « اللواحق » التى تتقدم الكلمة الاجنبية او تضاف الى آخرها ، فكيف نأخذ بها ؟ وكيف نفعل ؟ وخاصة عندما يتضارب ويتصارع النقل والتعريب والمجاز والوضع والنحت .

● ان المجامع اللغوية العلمية عملت بحرص على ارساء منهجية العمل فىالتعريب ، وقد اشرنا الى ما وضعه مكتب تنسيق التعريب فى الـربـاط ، ولكن المشكلة الاساس تكمن فى « عدم الاخذ » بها كخطة عمل ملزمة . وتكمن ايضا فى عدم التطبيق الدائـم والمشترك الذي يخرج بالعملية من اطر الفرديـة ، والفئوية الى اطر العمل الجماعى المشترك وعلـى امتداد الوطن العربى . وحتى لو افترضنا وجـود ثمة خطوط لعمل مشترك ، فالمشكلة تظل تكمن ايضا فى « عدم وجود رقابة عربية على التنفيذ » وبالتالى فكأنما تبدو السلسلة وكأنها غياب للمنـهجية علـى صعيـد التعريب .

ربما كان فى تعميم ما وضع من « منهجية » على الباحثين والجامعات ما يكفل لنا وضوح الرؤية وتناغم العمل والتقاء وجهات النظر وتفتيت الاجتهادات الفردية والقطرية الى حد كبير تمهيدا لوحدة «العمل»..

لم نات بجديد ، فهذه دعوة لم تقتصر على ما يدعو اليه مكتب تنسيق التعريب فى معظم منشوراته ، ولكنها تنطلق ايضا من باحثين كثيرين غيورين على اصلاح الفوضى الضاربة أطنابها .. ان الباحثين يرون وجوب قيام المجامع اللغوية بوضع أصول تصبح قواعد للتعريب لأكثر من غرض : القياس عليها والجري على نسقها والسير عليها وبالتالى فهي السبيل الى قضية توحيد المصطلح ونشره فى الجامعات العربية.

الحلول المطروحة لمشكلة التعريب على الساحة العربية

أثيرَ ، ولا يزال يُثار ، سؤال : ما مدى صلاحية العربية للتعليم الجامعى عموما ، والكليات العلمية على وجه التخصيص فى ضوء التطور السريع فى العلوم والتكنولوجيا والمصطلحات العلمية ؟ والى متى تظل الدروس فى الكثير من هذه الكليات تلقى بلغات اجنبية ، ويقرأ طلبتنا كتبا ومناهج أجنبية انكليزية وفرنسية ؟ وماذا عن اشد المتحمسين للعربية من اعضاء الهيئات التدريسية فى مثل هذه الكليات والذي يجد نفسه مضطرا ومحمولا على صدر الموجة فيقبل بهذه المناهج لغياب البديل العربى ، وبانتظار المنعطف الكبير نحو اللغة القومية آجلا بعد ان تعثر العاجل ؟

ما هى طرق تمكين العربية من مسايرة التطور العلمى المعاصر وخاصة ان الاهتمامات العربية منصبة على دعم وتوسيع نطاق التعليم العالى والدراسات العليا وتهيئة رعائل من المتخصصين فى تخصصات دقيقة فى فروع المعرفة ؟

باستقراء التاريخ العربى الحضاري والعلمى، فان العصر العباسى الذهبى لم يعان من محنة الترجمة. وقيل أن عناية العرب بالثقافة والعلوم قد بلغت ما سمى بأعجب العجب ، فالخليفة العباسى المأمون بن هارون الرشيد طلب من احد اباطرة القسطنطينية ان يعيره «ليو الأرمني» المشهور بالرياضيات فى مقابل صلح دائم . وكان يعطى فى مقابل ما يترجم له ذهبا بقدر ثقل ورقه او رقّه . وقد نقل المترجم حنين بن اسحق 95 كتابا .. وباختصار فقد استوعبت اللغة العربية التراث الحضاري الانسانى (20) .

نحن لا ننكر ان عصر الانحطاط الطويل جمّد النشاط الذهنى العربى ورمانا فى سبات حتى امحلت العربية تقريبا من المصطلحات العلمية والفنية المتجددة فى عوالم اخرى طوال فترة الاحتلال الاجنبى.. ثم تحركنا بعد الحرب العالمية الاولى.. بدانا اهتمامات جادة باللغة والتراث مما اعطى زخما قويا لحركة التعريب ، جنبا الى جنب مع تحركنا السياسى وتفتح الوعي القومى العربى . وفى العشرينات فصعودًا تم انشاء مجامع اللغة لتؤدي دورها فى رفد النهضة ويقظة الانسان . ولكن السؤال تحرك عن قدرة العربية على أن تقوم من كبوتها فتحتضن الجديد وتؤقلم نفسها معه وتصبح لغة علمية فى عصر العلم والتكنولوجيا. ودفع مكتب تنسيق التعريب استفتاءه فى سنة 1966 فماذا توصل اليه من دراسة الاجابات ؟ وماذا ركز الباحثون المتقصّون للمشكلة عليه من انوار ؟

كاجابة على عموم المشاكل والعوائق ، يمكننا تشخيص الحلول المطروحة على الساحة العربية آخذين الجوانب الايجابية التى من الممكن العمل بها، اما المواقف السلبية التى تجيء من خصوم العربية فقد استطناها كليا .

● حلول لمشكلة التعريب : الدروب المفتوحة

لنلق الضوء على جانب ما طرح من حلول تتناول مشكلة التعريب وما هى الدروب المفتوحة امامنا للوصول الى نقطة الهدف الاساس ولو كان هناك اكثر من درب ، ولكل درب مطبّاته ، اذ لا نتوقع سهولة المسيرة .

ان اعداء العربية من الخارج والداخل من جهة، والمتخوفين من حسنى النية من جهة اخرى ألقوا ظلالا قاتمة من الشكوك حول قدرتها اذ يرون فيها تصورًا نظيفًا لا يتماشى وطفرة العلم والتكنولوجيا. وفى ضوء هذه المسلمة فانهم يصلون الى استنتاج هو عدم صلاحية العربية للتدريس فى الكليات العلمية الا فى حدود ضيقة جدا ، ولا بد من اللجوء الى واحدة او اكثر من اللغات الاوربية لدول علمية صناعية متطورة ليتمكن الاساتذة والباحثون من متابعة ما يجد على الساحة ، ويأخذوا بايدي طلبتهم فى الجامعات الى عين المستويات لنظرائهم فى اوربا والامريكتين واليابان .. الخ .. وقد ركز فى الحديث على ان الانكليزية او الفرنسية او الالمانية تخدم هذه الاغراض العلمية والتكنولوجية والتطبيقية .

لا يتفق الكثيرون مع هذا الاستنتاج الحاد المتطرف بل يقدمون اكثر من اسلوب لمجابهة المشكلة.. انهم يرون الحل ، ونحن معهم ، في اللجوء الى ما لجأ اليه السلف : التعريب . والدروب الى ذلك هي :

1) **طريقة الاشتقاق** : الاشتقاق ، في راي المربي ساطع الحصري ، اهم الوسائل في ايدينا لانه « الأصولة » الاصلية التي كونت اللغة العربية . كما أن الاشتقاق ، كما يقول ، يضم وسيلتين اخريين هما النحت والتعريب اذ انه يتناول نتاج التعريب والنحت ايضا ويولد كلمات جديدة حتى من الكلمات المعربة والمنحوتة (21).

ويعتقد ايضا ان طريقة الاشتقاق اعم واهم الطرق واخصبها وافسحها مجالا ، اذ تؤخذ اللفظة الاعجمية وتؤقلم وتحور لمتطلبات نطقنا ، ونشتق منها افعالا ومصادر وصفات . فمن كلمة تليفون نقول تلفن يتلفن . ومن مهندس ، هندس ويهندس وهندسي . ومن كلمة تلفزيون ، تلفز ويتلفز وتلفزيوني ، ويرى كاتب ضرورة السيرعلى سنن اللغة في الشمول والتعميم وتوسيع آفاق الاشتقاق وادخال بعض الزيادات . . (22) ان الاشتقاق اذن معين لا ينضب للعربية . ويجب ان ننبه بقوة على ان الاشتقاق يعطى اللغة العربية اهم صفاتها ، مقارنة مع لغات اخرى تعتمد على طريقة النحت .

ومع هذا ، فان الحصري يحذرنا بان الاشتقاق وحده لا يكفي لتوليد الكلمات التي يحتاجها التفكير البشري . ويعلل السبب « لان عمله مقصور على أوزان وقوالب معينة . وهذه الاوزان والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لا تستطيع ان تستوعب جميع المعاني العقلية ، فلا بد من الاستعانة بالتراكيب ، والاقدام على تركيب كلمتين او اكثر على شكل تراكيب مزجية ووصفية واضافية وحتى على هيئة جمل فعلية » .(23)

2) **طريقة الترجمة او النقل** : قام المترجمون العرب بنقل الكلمة بما يقابلها بالعربية وما يدل عليها ، وقد نجحوا في القرون الثالث والرابع والخامس الهجري في هذا الخط . ويقول باحث « نجد في لغة النقلة من العصر العباسي أثرا قويا لليونانية في نقل الالفاظ الهندسية والحسابية من جيب ومخروط وأعداد أولية وأعداد زائدة وأعداد ناقصة ... الخ . كما نجد لحركة التبادل في المنتوجات العلمية بين الهندية والعربية في القرن الثاني والقرن الرابع للهجرة علوم الطبيعة الهندية، والكهربان والنارجيل، وفي الرياضيات لفظ اهليلجي للقطع الناقص ، ولفظ الصفر للدلالة على الخلو ، والارقام الهندية التي نستعملها الآن»(24).

3) **طريقة المجاز** : ومعنى المجاز كما يعلمنا علماء اللغة استعمال لفظ لشيء بينه وبين الحقيقة اتصال . وقد استخدمها السلف للوصول الى الفاظ تنقل المعنى الجديد مع الابقاء على اللفظ المتداول.. ومن الامثلة على ذلك : (25)

ا ــ كلمة الحساب ، الاحصاء وأصلهما من الحصب والحصا .

ب ــ الجيب لنصف الوتر في القوس ، وأخذوه من طوق القميص .

ج ــ مسح ومنه المساحة ، واخذوه من سار على الارض .

د ــ الجبر وهو إصلاح العظم المكسور واستعملوه اصطلاحا لازالة حرف الاستثناء وردوه في المعادل الآخر من المعادلة واطلقوه على علم الجبر .

4) **النحت** : طريقة تثري العربية بكلمات جديدة. وقد اصاب القدامى والمعاصرون حظا كبيرا من النجاح في استعمالها . كما استعملها علماء اللغة في لغات أخرى . والنحت يرفد طريقة الاشتقاق اذا كانت لا تكفي . ويؤكد المختصون لنا على ان النحت طريقة تعتمد على الترتيب والمزج او الاختصار من لفظين او اكثر فيتولد من ذلك لفظ مركب جديد أو لفظ موجز جديد . وهذا ما يدعى بالتوليد والانفلاق في طبيعة العربية اللذين منحاها حركية هائلة . ومما لا ريب فيه ان التقدم التقني والحضاري سيجعلنا امام مجابهة في توسيع افق الاشتقاق وأطر النحت لتلبي احتياجاتنا ، ولربما توسعنا ، كما يقال ، في تركيب كلمات ثلاثيةلم تستعمل بعد فالحاجة أم الاختراع. وهنا يأتي دور المتخصصين والعلماء والمجامع .

ومن امثلة النحت ما يأتي :(26)

ا ــ اللا ادرية : من لا ادري ، اللمية : من لم ، العنعنة : من عن وعن ، شمخر : من شمخ وخرّ ، محبرم : من حبّ ورمان ، دحمل : من دح وحمل ، حسبلة : من حسبيَ الله ، سمعلة : من السلام

عليكم ، مشكنة : من ما شاء الله كان ، عبدرى : من عبد الدار ، مرمسى : من امريء القيس ... الخ (27).

ب ــ ثم هناك النحت مثل : اينما ، بينما، ما خلا، لولا ، لوما ، مهما ، هلا ، لا جرم ، لا محالة ، ما وراء ، ما بين .

ج ــ وهناك الكلمات التى يرجع اصلها الى النحت مثل : بسملة ، حمدلة ، صيعلة ، هيللة ، حوقلة ، سبحلة ، جعفدة ، دمعزة ، باباة ، فذلكة، لا شيء ، هرول ، بعثر ، دحرج ، خرمش ، دعثر ، لكن ، كان ، الآن .

د ــ الاستفادة من لا النافية مثلا : اللامتناهى، اللاضروري ، اللادائى ، اللاصوفية ، اللا ادرية ، اللااخلاقى ، اللامركزي ، اللاسلكى ، اللاهوائى ، اللاتناظري ، اللااجتماعى ... الخ .

هـ ــ وهناك استخدام النحت فى وصف شيء بعد فترة باستخدام حرفي الغين والباء (غب) فنقول : غبهجرة : بعد الهجرة ، غبمدرسى : بعد المدرسي غبجليدي : بعد العصر الجليدي ، غبولادة : بعد الولادة .

ونستعمل حرفي القاف والباء (قب) فى وصف شيء حدث قبل الفترة مثل :

قبتاريخ : قبل التاريخ ، قبميلاد : قبل الميلاد ، قبهجرة : قبل الهجرة . قبولادة : قبل الولادة .

و ــ ويمكننا نحت كلمات « خارج ، وفوق ، وتحت » على شكل خا ، فو ، تح ، فنقول :

خاتوس : اي خارج القوس
فوسوي : اي فوق السوي
تحشعور : اي تحت الشعوري
فوبنفسجي : اي فوق البنفسجي .

ز ــ ونقول فى نحت كلمات مركبة :
برمائية : اي بر ومائية
حيبنات : اي حيوان ونبات
حيمن : اي حوين ومنوي
يبروح : اي يبقى روحا .

ح ــ اضافة الى ما مرّ من مقترحات نحتية اقترحها الاستاذ ساطع الحصري فانه يقترح التراكيب التالية :

حيونمة : من حيوان وجرثومة
عفنبات : من عفن ونبات
عظنبات : من عظم ونبات
سرمنة : من سير ونام للذين يسيرون اثناء النوم
حلتظة : من احلام اليقظة

ط ــ ويقترح مثلا :
كلمة قبلانى a priori حكم يصدر قبل البحث والدرس
كلمة بعدانى posteriori حكم يصدر بعد البحث والدرس .

ي ــ ويقول انه اثناء تدريسه لمادة الاحصاء فى بغداد ولم تسعفه المصطلحات العربية بما يوازيها فى لغة اخرى فانه استعمل فى محاضراته الكلمات التالية :

	مقابل كلمة	
واسط	«	Médian
ربعيل	«	Quartile
عشريل	«	Décile
مئيل	«	Centile
تمئيل	«	Centilage
استعشار	«	Décilage
استرباع	«	Quartilage

5) **طريقة التعريب** : قيل اذا عزّت علينا مهمة ايجاد كلمة عربية لترجمة كلمة أعجمية ، أو صعب النحت أو المجاز أو الاشتقاق لاسم او فعل ، فعند ذلك نلجا الى اسلوب آخر هو طريقة تعريب امثال هذه الكلمة .. ويؤكد المعنيون والمتخصصون بهذه الجوانب أن هذه قضية جدّ مهمة لان اسقاط التعريب وعدم اعطائه دوره سيوسّع الهوّة بيننا وبين من سبقنا فى ميدان العلم والتكنولوجيا سيما وان النهضة العلمية والثقافية والتطور التقني والمخترعات والعدد والآلات تزحف بسرعة . أن الاحاطة ومواكبة الركب العالمي الحضاري والعلمى بحد ذاته لا يكفي ، اذ ان عقلاءنا يذكروننا بأن هذا جانب واحد من العملة . أما الجانب الآخر فهو دورنا فى المشاركة والابداع والريادة الاصيلة ، تماما كما كنا فى قرون خلت .

الموقف من التعريب كطريقة جيدة قد جابه على الاقل رايين يوجزهما احد الباحثين كالتالى : أ ــ وجوب أتباع الكلمة المعربة وزنا عربيا اذ ليس التكلم بكلمة اجنبية كافيا بأن تصبح عربية.ب ــ وهناك فريق يضم جمهرة من اهل اللغة ، ومنهم العلامة

سيبويه ، يرى أن التعريب أن تتكلم العرب بالكلمة الاعجمية مطلقا بالحاقها ببنى الكلام حينا ، وعدم الحاقها احيانا .

ومن المشاهد ان العربية قد برهنت على مرونتها القوية واتساع صدرها لاستيعاب كلمات اجنبية رغم وجود ما يقابلها فى العربية . ولم يكن فى ذلك ضير عليها .

ومنذ عام 1926 دعا المجمع العلمى العراقى فى خطته اللغوية الى طريقة التعريب وطريقة الاشتقاق ورأى ان قضية وضع الكلمات الحديثة تجري اما على هذه أو تلك ، او الجمع بينهما عند اللزوم ، ثم الرجوع الى طريقة النحت عند الحاجة . ولمجمع اللغة العربية فى القاهرة راي هو وجوب اعتماد المصطلحات بالتنقيب عنها فى كتب اللغة القديمة ، فاذا عزت ، فيتم اللجوء الى الاشتقاق ، او المجاز ، او النسب ، او التصغير . كذلك اجاز هذا المجمع استعمال بعض الكلمات الاجنبية عند الضرورة على طريقة العرب فى تعريبهم .

● حلول لمشكلة اعضاء الهيئة التدريسية الجامعيين

اما بالنسبة لمعاناة ومشاكل اعضاء الهيئات التدريسية فى جامعاتنا وكلياتنا ومعاهدنا العربية فى الوطن العربى ، وعلى مختلف مستوياتهم ودرجاتهم العلمية وتخصصاتهم فالقائمة طويلة حقا ، ولكل بلد عربى طبيعة ظروفه الموضوعية التى تملي عليه أنماطا متقاربة او متباينة ، من مشاكل وضغوط تزيد من متاعب الاستاذ الجامعى ، وتعرقل عمله بنسبة او أخرى ، وقد تفعل فعلا سلبيا يشيع التبرم وفقدان الامل ، ولربما نمو عامل « الاغتراب » وهو شر مستطير .

المقترحات والحلول كثيرة ايضا ، جفلت بها الدراسات والمقررات والتوصيات . ونطق بها قادة البلدان العربية والوزارات المعنية ومجالس التعليم العالى والاساتذة الجامعيون انفسهم ، واهتمت بها وسائل الاعلام .. الخ . ولعل فى النماذج التالية ما يوضح عددا من الحلول المطروحة : لقد ارتؤي القيام بتكوين مكتبة علمية ، او جهاز مماثل ، تكون مهمتها تعريب المراجع العلمية المختارة وعقد جلسات وحلقات دراسية جامعة لمشكلة المعجم العربى والسرعة فى تعريب المصطلحات العلمية بكيفية توازي سرعة تطور العلوم والمخترعات والتقدم التكنولوجى ، واصدار كتب جامعية موحدة بين الدول العربية ومشاركة مختصين من الجامعات فى عمل مشترك لايجاد المصطلح العلمى الملائم وخلق لجنة جامعية من هيئة التدريس تشرف على ترجمة الابحاث العلمية التى يضعها الاساتذة بلغة غير العربية ، وعلى ان تتميز هذه الترجمات بالسهولة والوضوح والسلاسة وتنسيق الجهود بين مختلف لجان الجامعات ونشر البحوث المترجمة لتعميم الفائدة . (28) وكما قلنا فهذه ليست نهاية الحلول بل تمثل شريحة تصلح كورقة عمل لتفادي عدد من عراقيل لم يحل بعضها او معظمها بعد .

● ما الحلول لمشكلة المصطلحات العلمية العربية ؟

عند مجابهة مشكلة المصطلح العلمى فى قضية التعريب والتدريس والتاليف والبحث العلمى والتطبيقات العملية تجابه الجامعات العربية اعتى واقسى ما تمر به من مشاكل ، فالمصطلحات ضرورة آنية ليس لمجرد تبادل الحديث والطرح والمناقشة فى لغة الافصاح والابانة ، ولكنها جسر للتفكير ايضا . وقد عملت المجامع اللغوية والعلمية والهيئات على دراسة المشكلة ووضع الحلول كمقترح يعمل به ، ويجب ان يتم ذلك بسرعة لسبب واضح هو ان المصطلحات تنصب يوميا بشكل متواصل ويجب انجاز نسبة كبرى منها ترجمة او تعريبا والا فان الهوة ستصبح واسعة الى درجة مخيفة . وما قيل فى الحل كثير ايضا ، ولكنى ارتاي عرض وجهة نظر الاستاذ بنعبد الله لأنى اتفق معه كثيرا فى ما يطرح : (29)

1) عقد المؤتمرات العلمية والاكثار منها سيقضى على اختلاف المصطلحات العلمية .

2) يقوم المختصون فى المجامع العلمية بوضع المصطلحات كل حسب اختصاصه ، ثم تعرض على المجامع اللغوية لاقرارها ، مع مراعاة جانب السرعة فى العمل على تعريب المصطلحات .

3) توحيد المصطلحات العربية تحت اشراف الجامعة العربية (المنظمة العربية للتربية والثقافة

والعلوم) وبمعاونة اعضاء المجامع فى الدول العربية مع تحديد مدلولها وتوضيح مفهومها العلمى .

4) تتبع الاساتذة لما تقره المجامع اللغوية من المصطلحات وتطبيقهم اياها فى تدريسهم وتاليفهم وابحاثهم .

5) قبول المصطلحات العلمية العالمية بالفاظها اللاتينية كما تقبلها جميع اللغات الحية ، وبضمنها الروسية .

6) الاقتصار على التعريب الحرفي للمصطلحات ذات الطابع الدولى وتوفير الجهد على المجامع اللغوية .

7) الاكثار من ترجمة امهات الكتب العالمية .

8) ادخال الالفاظ العامية التى لا يوجد لها مقابل فى الفصحى والتنقيب فى مؤلفات القرون الوسطى العربية عن الالفاظ المولدة التى تخلو منها المعاجم ، ووضع كلمات جديدة عن طريق الاشتقاق وتضمين مفردات قديمة معانى جديدة.

9) نشر معجم للمصطلحات التقنية الاجنبية مع جميع مقابلاته باللغة العربية .

10) اصدار قاموس عربى علمى .

11) عقد حلقات على نطاق الوطن العربى لبحث مسالة تجديد اللغة العربية تحت اشراف مكتب تنسيق التعريب فى الوطن العربى — الرباط .

12) قيام مكتب تنسيق التعريب بمهمة التوجيه والتعميم .

طريق الخلاص : النتائج المستخلصة

كانت الجولة على ساحة البحث طويلة ، وفى هذا القسم منه استلهم من واقعنا أولاً ، ومن احتياجاتنا الآنية التى اصبحت جدّ مهمة ومسؤولية علمية وأدبية وقومية يجب ان نتحملها بأمانة ثانيا ، ثم ثالثا من مجمل الابحاث التى تمت على هذا الصعيد، نستلهم بعض النتائج والتوصيات التى ربما — اقول ربما — تشكل طريق الخلاص من المحنة التى نعانيها جميعا فى وطننا العربى ، وبالتالى يصلح بعضها للاحتضان العلمى التطبيقى .

اولا : **بالنسبة الى التراث الفني** فاننا نتفق على انه ليس مجرد ارث نعتز بقيمه وافكاره ورصيده الكبير ، بل يجب ، عند تقويمنا له فى حاضرنا ، أن نركز على ما دعاه أحد الكتاب بانه رصيد ينظر اليه من زاوية قدرته الانتاجية التى تتناسب مع قدرتنا نحن حاليا على توظيف هذا التراث (بمعانيه ، بقيمه ، بافكاره ، بأنماطه) وعلى استثماره اي بايجاز مدى قدرتنا على استعادة هذا الرصيد وتمثله وابداعه لنكون بحق « مشاركين ومسهمين فى ركب الحضارة، لا مجرد متلقين ومستوردين » (30)

ثانيا : بالنسبة الى الحاضر

لن اكرر المعوقات والمشاكل وعوامل الشد الى الوراء والحلول ، فقد كفتنا منها ما فيه الكفاية من دراسات وأبحاث ومعالجات فى هذه الموضوعات ... وهذه الكفاية المطروحة على الصفحات السابقة تعزز جملة حقائق لا يمكن نكرانها او الاستهانة بها .. وهذه الحقائق تتجمع فى خلاصة واحدة وتبلور مركز وهو : بأن تعريب التعليم العالى يتطلب العمل على :

ا — الأخذ الصارم بمبدأ الالتزام بما يعرّب على صعيد قطري وصعيد قومي ، والا فان نتائج هذا المؤتمر ستكون حلقة من حلقات ماضية ، ومجرد مَأطرة أخرى على سكة الابحاث والتنظير واللقاءات بين الأشقاء العرب وأصدقاء العرب .

الالتزام بما تتمخض عنه مرحلة التعريب وأساليب التعريب ومن يقوم به ، ثم جعله تطبيقا مشاعا ومعاشا قضية ليست بيد الافراد او المنظمات فى بلادنا .. ان تطبيق الالتزام ، كما قيل ، « قرار سياسى بالدرجة الاولى » يتطلب من ساسة وقادة الدول العربية دعم ما وصل اليه العلماء واللغويون والمجامع والجامعيون من نتائج ، وتطبيق ذلك ليس بشكل مبعثر ومتفرق ولكن بشكل موحد على الصعيد القومى .

نحن لا نجهل ، كجامعيين ، ان قضية التعريب والمصطلح العلمى العربى بوضعهما الحالى بنيان ضعيف ومتخلف جداً فقد سبق التنظير التطبيق بمراحل.. وكما قيل مرارا وتكرارا « ما لم تتخذ الحكومات العربية قرارا قوميا سياسيا فى اجتماعات لهذا الغرض (اي الالتزام بالتعريب والمصطلح المعرب) فان كل جهد يبذل فى نطاق التعريب سيبقى جهدا نظريا